روايات مصرية للجيب

الكتاب الخامس عشر

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

التجربة الرهيبة

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

د. نبيل فاروق

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـــل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـــارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

د. نبيل فاروق

بدون عمل

(قصة قصيرة)

من المؤكد أن قصة (مجدى) و (ليلى) كانت عادية جدًا فى البداية ، فلقد التقيا ، وتعارفا ، وأحب كل منهما الآخر ، ثم تقدّم (مجدى) لخطبة (ليلى) ، وأبدى والدها بعض الاعتراض فى البداية ، حتى عثر (مجدى) على شقة مناسبة ، وتمت خطبتهما ، التى استغرقت عامًا واحدًا ، تمّ بعده زفافهما ، الذى لم يمض عام واحد عليه ، حتى وضعت (ليلى) طفلها الأوّل ، الذى أطلقت عليه اسم (أحمد) ..

إلى هنا والقصة عادية بالطبع ..

حتى عندما بدأت مشكلة البحث عن مكان لـ (أحمد) ، لتذهب (ليلى) إلى عملها اليومى ، ظل الأمر مألوفًا عاديًا ، لولا أن تكوّرت بطن (ليلى)

مرة ثانية ، بعد أشهر قليلة ، لتعلن قرب قدوم الطفل الثانى ، الذى لم يستعد الزوجان لاستقباله بعد ..

ولكن الطفل الثانى أتى ، بعد أقل من عام ، من مولد (أحمد) ، وجاء أنثى جميلة هذه المرة ، لها نظرة أمها ، وابتسامة أبيها ..

وعندئذ بدأت المشكلة ..

كيف يمكن أن تعمل (ليلى) ، ولديها طفلان ، لا يفصلهما سوى عام واحد من العمر ؟! ..

وفى البداية ، بذلت (ليلى) جهدًا مضاعفًا ، لنقل الطفلين إلى منزل أمها كل صباح ، ثم الذهاب إلى عملها فى التاسعة ، والعودة منه فى الثالثة ، لتحمل طفليها مرة ثانية ، إلى منزلها ، الذى تبلغه فى الخامسة ، وهى تلهث من شدة التعب والإرهاق ..

ولكن (مجدى) لم يحتمل هذا ..

لقد حاول الاحتمال ، والحق يقال ، إلا أن المجهود المضاعف ، الذى تبذله (ليلى) ، ورعايتها المستمرة لطفليها ، جاءت على حساب علاقتها به ، واهتمامها بعمله الخاص ، وبمأكله وملبسه ، حتى جاء يوم ممطر ، واجهها فيه قائلًا :

ـ هل سيستمر الوضع على هذه الصورة ؟

قالت فى عصبية :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟ إننى أعمل من الصباح حتى المساء ، ثم أهتم بالطفلين والمنزل .

سألها فى ضيق :

ـ وماذا عنى أنا ؟

واجهته بأسلوب عدوانى :

ـ ماذا عنك ؟! .. يمكنك أن ترعى شئونك بنفسك ، ولا تنتظر منى أن

أخدمك ، وأن أرعى شئونك أيضًا ، فكلانا يعمل ، وأنا أبذل جهدًا أكبر ، فى رعاية المنزل والأطفال .

هتف غاضبًا :

ـ أهذا أسلوب تخاطب به زوجة زوجها ؟

صرخت فى وجهه :

ـ وكيف تريد منى أن أعاملك ؟

أغضبه أسلوبها العصبى العنيف فى شدة ، ولكنه سيطر على أعصابه ، فى حزم ، وسألها وهو ينتفض غضبًا فى أعماقه ، على الرغم من هدوء صوته وملامحه :

ـ أتجدين أنه من العسير عليك القيام بعملك وبواجباتك كزوجة ، فى الوقت ذاته ؟

صاحت محتدة :

ـ بالطبع .. حاول أن تجرب أنت هذا ، وأن ..

قاطعها فى حزم وصرامة :

ـ اتركى العمل إذن .

بترت عبارتها ، وحدقت فى وجهه بدهشة ، وهى ترند :

ـ أترك العمل ؟!

أجابها فى قوة :

ـ نعم يا (ليلى) .. اتركى العمل .. لو أنك تعجزين عن التوفيق بينه وبين منزلك ، وواجباتك كزوجة وأم ، فاتركيه .. هذا ما يحتمه عليك واجبك .

صاحت به فى حدة :

ـ هل جننت ؟ .. إننى ناجحة فى عملى ، وسأحصل على علاوة ، مع بداية العام الجديد ، و ..

قاطعها غاضبًا :

ـ وماذا ؟ .. إنك زوجة وأم ، فى المقام الأوّل ، وأنا أشعر أن طفلىّ يعانيان بسبب عدم تفرّغ أمهما لهما .

قالت محتدة :

ـ إننى أمنحهما كل رعايتى ، بعد عودتى من العمل .

قال فى صرامة :

ـ بهذه العصبية وهذا التوتر ؟! .. إنك تصرخين فى وجهيهما طوال الوقت ، ولا تحتملين أى خطأ يصدر منهما ، وتعاقبينهما فى عنف ، دون رحمة أو شفقة .

هتفت :

ـ لأننى متعبة طيلة النهار .

قال فى حدة :

ـ أرأيت ؟! .. هأنتذى تعترفين بصحة وجهة نظرى .

أدركت صحة قوله هذه المرة ، فعضت شفتيها فى غيظ ، ثم قالت فى صرامة :

ـ ولو يا (مجدى) .. لن أترك العمل أبدًا .

صاح بها :

ـ ولن أسمح لكِ بالاستمرار فيه ، على حساب منزلك وطفليك .

صرخت :

ـ ومن قال إنك تمتلك حق السماح والمنع ؟

قال فى دهشة :

ـ أنا زوجك .

عقدت ساعديها أمام صدرها فى حزم ، وهى تقول فى عناد :

ـ لقد تزوّجتنى وأنا أعمل ، والقانون لا يمنحك الحق فى منعى من العمل ، فى هذه الحالة .

هتف بدهشة أكثر :

ـ القانون ؟!

ثم أضاف فى مرارة :

ـ لست أتحدّث عن القانون يا (ليلى) ، ولن ألجأ إليه أبدًا .. إننى أتحدّث معك كزوجة .

قالت فى عناد أكثر :

ـ وأنا أرفض مجرّد التفكير فى الأمر .

تفجّرت كل شياطين الغضب فى وجهه ، وهبّ واقفًا ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا (ليلى) .. أنت دفعتنى إلى هذا .

وشد قامته ، مستطردًا فى حزم :

ـ إننى أضعك أمام خيارين ، لا ثالث لهما يا (ليلى) ، إما أن تتركى العمل ، وتتقدمى باستقالتك صباح الغد ، أو ..

تردّد لحظة ، فسألته فى حدة :

ـ أو ماذا ؟

بدا شديد المرارة ، وهو يجيب :

ـ أو نفترق يا (ليلى) .. أعنى الطلاق ، لو أنك أردت توضيحًا أكثر .

احتقن وجهها فى شدة ، ورددت :

ـ الطلاق ؟! .

ثم استطردت فى غضب :

ـ أتهدّدنى يا (مجدى) ؟

أجابها فى صرامة :

ـ إننى أجبرك على اتخاذ خطوة واضحة حاسمة ، بشأن حياتنا .

عاودها عنادها فى شدة ، وهى تقول :

ـ وأنا أرفض يا (مجدى) .. أرفض ترك العمل ، وبكل إصرار .

تفجّر عناده أيضًا ، وصاح فى وجهها :

ـ أنت طالق إذن يا (ليلى) .. طالق .. طالق .

وكانت مفاجأة للأسرتين ..

أسرته وأسرتها ..

ـ لم يتصوّر مخلوق واحد أن يتمّ طلاق (مجدى) و (ليلى) ، بعد قصة الحب التى جمعتهما ، والتى انتهت بزواجهما ، من عامين أو أقل ..

وتدخل العديدون للإصلاح بينهما ، وإعادة المياه إلى مجاريها ..

ولكن دون فائدة ..

لم يتنازل (مجدى) عن إصراره ، ولم تتخل (ليلى) عن عنادها ..

وافترقا ..

وبحكم القانون ، حصلت (ليلى) على الشقة ، وعلى حضانة طفليها ، واستأجرت من مبلغ النفقة ، التى يدفعها لها (مجدى) شهريًا ، خادمة محترفة ، لتبقى مع أطفالها ، طوال فترة عملها ..

وطوال العام الأوّل بعد الطلاق ، كانت (ليلى) تبدو قوية متماسكة ، واثقة من أن (مجدى) سيعود إليها نادمًا ، بعد أن يفيق من ثورته ، ويدرك أن طلاقهما قد أفقده شقته وأولاده ، وأفقده إياها أيضًا ، بل لقد

بدأت بالفعل فى التخطيط لعودته ، وفى التدرّب على أسلوب مقابلته ، وتعنيفه ، ومعاقبته على ما ارتكبه من خطاءٍ فى حقها ..

ولكن (مجدى) لم يعد ..

إنه لم يبق حتى فى (مصر) كلها ..

لقد سافر للعمل فى واحدة من دول الخليج ، وانقطعت أخباره فيها لعامين كاملين ، بذلت فيهما (ليلى) أربعة أضعاف ما كانت تبذله من جهد ، بعد أن صار عليها أن تلعب دور الأب والأم فى آن واحد ..

ثم عاد (مجدى) ..

لم يعد إليها ، وإنما عاد إلى (القاهرة) ، وابتاع شقة جديدة ، وكأنه يعلن تنازله الدائم عنها ، وعن شقته القديمة ، وبدأ مشروعًا صغيرًا ، لم يلبث أن تطوّر خلال العام التالى ، وأصبح مشروعًا معقولًا ، يمنحه دخلًا جيدًا ..

ولم يبخل (مجدى) على أبنائه بالإنفاق ، بل راح يمنحهم كل ما يمكنه ، بغض النظر عن قيمة النفقة الشرعية ، التى يدفعها لهم ولأمهم شهريًا ..

وبدأت (ليلى) تشعر بالوحدة ..

ولأوّل مرة ، بعد أكثر من ثلاث سنوات من الطلاق ، اعترفت لنفسها بأنها لم تعد تحتمل وحدتها ، وأنها تتوق لعودة (مجدى) إليها ..

ثم جاءت الضربة القاصمة ..

لقد تزوّج (مجدى) ..

تزوّج فى هدوء ، من واحدة من قريباته ، لا تعمل فى الحكومة أو القطاع الخاص ، واستقر معها فى شقته الجديدة ، وبدأ الناس يتحدّثون عن سعادتهما وحبهما واستقرارهما ، وخاصة بعد أن أنجبا طفلة جميلة ، لها ملامح أمها وذكاء أبيها ..

وانهارت مشاعر (ليلى) .

وانهار معها الأمل فى عودة (مجدى) إليها ..

وفى البداية انتابها الغضب ، وراحت تلعن (مجدى) ، والزواج ، وحياتها كلها ..

ثم قرّرت معاملته بالمثل ..

والمثل هنا يعنى أن تتزوّج ، وتستقر مثله ، ويصبح لديها زوج وأولاد جدد ، و ..

ولكن من يقبل الزواج منها ..

من يقبل الزواج من امرأة تخطّت الثلاثين ، مطلّقة ولها طفلان ؟

كلها عقبات تقف فى طريق الزواج ، من وجهة نظر المجتمع ..

وامتلأت نفسها بمرارة لا حدود لها ، جعلتها تهمل عملها ، وأولادها ، وحياتها كلها ، وتصاب بحالة من الإحباط واليأس ، لم تشعر بمثلها من قبل .

وفجأة لاح الأمل ..

ففى يوم صحو ، زارتها شقيقتها (نوال) ، وقالت لها فى حرارة :

ـ (ليلى) .. عندى عريس لك .

رنّت فى دهشة :

ـ عريس ؟!

قالتها وقلبها يخفق فى مرح وسعادة ، بعد أن أعاد إليها هذا شعورها بأنوثتها ، وبأنها لاتزال امرأة مرغوبة ، يمكنها الزواج والإنجاب ، وليست مجرّد كيان مهمل ، ألقاه (مجدى) خلفه ، وتركه يتحلّل فى عزلته ..

وفى لهفة لم تحاول إخفاءها ، سألت شقيقتها :

ـ من هو ؟ .. ولماذا يطلب الزواج منى ؟

أجابتها (نوال) فى فرح :

ـ رجل أعمال ثرى ، فى الرابعة والأربعين من عمره ، وهو صديق لزوجى (على) ، ورآك فى أثناء إحدى زياراتك لنا .. الأروع أنه يعرف عنك كل شىء ، ويطلب الزواج منك .. ما رأيك يا (ليلى) ؟

تضاعفت فرحتها ، وهى تقول :

ـ أريد أن أراه أوّلا .

هتفت بها (نوال) :

ـ بالتأكيد .. إنه سيزورنا اليوم ، وأريد منك أن تأتى فى أبهى زينتك ، حتى تبهريه ، ويسارع بإتمام الزواج .

أومأت برأسها إيجابًا فى حرارة ، وقد تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، كما لو كانت مراهقة صغيرة ، تتلقّى عرض الزواج الأوّل فى عمرها ..

وفى الموعد المحدود ، كانت (ليلى) فى منزل شقيقتها ، فى أبهى صورة ، ولقد استقبلت العريس المنشود بابتسامة خجلى ، وصافحته بأطراف أصابعها ، ثم جلست أمامه والخجل يضفى على وجهها مزيدًا من الجمال والنعومة ..

ولكنها ـ فى أعماق نفسها ـ اعترفت بأنه أقل وسامة من (مجدى) بكثير ..

صحيح أنه ثرى ، ومعروف إلى حد ما ، ولكن شكله لا يمكن أن يوصف أبدًا بالملاحة ، وكذلك صوته الأجش ، وهو يقول :

ـ كم يسعدنى أن ألتقى بك .

همهمت بكلمات خافتة ، وهى تقنع نفسها بأنه فرصة لن تعوّض ، على الرغم من عيوبه ، فنقاط الضعف لديها أكبر وأكثر من هذه العيوب ، ومن المحتم عليها أن تقبله ، وإلا فقد لا يتقدّم شخص آخر للزواج منها ، مابقى لها من العمر ، فسنها تتقدّم مع مرور الوقت ، وجمالها سيذوى ، وينبل ، وحيويتها ستذهب ..

إنه بالفعل فرصتها الأخيرة ..

وفى زهو ، أشعل الرجل سيجارته ، ونفث دخانها فى عمق ، وهو يقول ملوّحا بكفه ، التى يزيّنها خاتم ذهبى ضخم :

ـ سأدفع المهر الذى تطلبينه ، وسأبتاع لك أفضل شبكة فى العالم ، على نحو يُشرّفنى ويشرّفك ، وسنقيم فى فيلتى الجديدة ، فى مدينة (نصر) ، أما عن طفليك ، فسيكونان كولدىّ تمامًا ، وسأمنحهما كل العناية والرعاية ، حتى ننجب لهما شقيقًا أو شقيقة .

شعرت بالارتياح مع حديثه ، الذى يحرّرها من كل ما كان يقلقها بشأن حياتها وأولادها ، فاستكانت فى مقعدها ، وتركته يواصل حديثه ، وهى تستمع إليه فى صمت ، وعلى شفتيها ابتسامة هادئة مستسلمة ، حتى اعتدل فى مقعده ، والتقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ سأمنحك كل ما تريدين ، ولكن لى شرط واحد .

هوى قلبها بين ضلوعها ، وهى تسأله :

ـ ما هو ؟

أجاب فى حزم :

ـ لست أحب المرأة العاملة .. أريدك زوجة فقط .. بدون عمل .

ولم تتردد لحظة واحدة ..

ووافقت على أن تكون فى حياته مجرّد زوجة ..

وبدون عمل .

(تمت بحمد الله)

روايات مصرية للجيب

الزهرة الماسية

(قصة كاملة)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ هدى ..

« البريد يا آنسة (هدى) .. »

تلقت (هدى) هذا النداء ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، المثبت فوق مكتبها ، فأسرعت تضغط زره ، وهى تجيب رئيس مجلس إدارة الشركة ، قائلة :

ـ على الفور يا سيدى .

نهضت من خلف مكتبها الصغير ، فى حجرة السكرتارية ، الملحقة بمكتب رئيس مجلس الإدارة ، وعدلت ثوبها ، ثم التقطت ملف البريد ، وطرقت باب مكتب الرئيس ، قبل أن تلج إلى حجرته ، وتبتسم قائلة :

ـ البريد يا سيدى .

رفع رئيس مجلس الإدارة عينيه إليها ، وقال فى رصانة ، محاولا إخفاء إعجابه بجمالها وقوامها المتناسق :

ـ هل وصل القرار الوزارى ، الذى أبلغونا به ؟

هزت رأسها نفيا ، وهى تضع ملف البريد أمامه ، قائلة :

ـ ليس بعد يا سيدى ، ولكن لدينا عدة شكاوى اليوم .

قال فى ضجر ، وهو يطالع الأوراق ، ويذيلها بتوقيعه وملاحظاته :

ـ الشكاوى لا تنتهى أبدا .. كل شخص يتصور نفسه المظلوم الأول فى الكون .

وافقته بعبارات تقليدية ، لم تنكرها فور نطقها ، وتركته يطالع البريد ، وهى تدير عينيها فى حجرته الواسعة ، التى تعد أفضل الحجرات تأثيثا ، فى الشركة كلها ..

كانت الحجرة تتكون من مكتبه الكبير ، ومكتبة ضخمة ، تحتل حائطا بأكمله تقريبا ، وطاقم أنيق من مقاعد الجلوس ، بالإضافة إلى تلفاز كبير ، وثلاجة مكتب أنيقة ، وبساط بنى بالغ الجودة ..

ولكن (هدى) لاحظت أمرا أثار انتباهها كثيرا ؛ فى المكتبة الضخمة ؛ فقد كانت عدة أرفف فى ركنها قد أخليت من الكتب ، التى تراصت على الأرض إلى جوارها فى غير انتظام ، مما أثار دهشة (هدى) ، وجعلها تشير إليها قائلة فى استنكار :

ـ من فعل هذا ؟

توقف رئيس مجلس الإدارة عن توقيع ومطالعة بريده ، وهو يرفع رأسه إليها ، قائلا فى شىء من التوتر :

ـ من فعل هذا ؟

أشارت إلى الأرفف الخالية ، وهى تقول فى ارتباك :

ـ معذرة يا (حسن) بك ، ولكن هذه الأرفف الخالية أثارت دهشتى ، فلقد تركتها مرتبة أمس ، و ..

قاطعها فى صرامة ، لا تخلو من العصبية :

ـ أنا فعلت هذا .

قالت فى دهشة :

ـ أنت ؟

هتف فى عصبية :

ـ نعم .. أنا فعلتها .. ما شأنك أنت بهذا .

تخضب وجهها بحمرة الخجل ، وارتبكت فى شدة ، وهى تقول :

ـ معذرة يا سيدى .. لم أقصد هذا .. إننى ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، من فرط ارتباكها ، فتحركت نحو المكتبة ، مستطردة :

ـ سأعيد ترتيب الكتب .

قال فى حدة أفزعتها :

ـ لا .

استدارت إليه فى شىء من الذعر ، فأضاف فى توتر شديد :

ـ اتركيها كما هى .

لم تفهم السر فى هذا . ولكنها تراجعت إلى موقعها ، وهى تقول :

ـ كما تأمر يا (حسن) بك .. كما تأمر .

لاحظت أن هذا الأمر أصابه بعصبية شديدة . فقد بدأ يوقع الأوراق دون أن يقرأ محتواها ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ هيا انصرفى .

أسرعت تغادر الحجرة ، متفادية ثورته ، وهى تتساءل فى دهشة عن سر كل هذا الغضب والتوتر ، من أجل بعض الكتب ، ولكنها لم تكد تجلس خلف مكتبها ، حتى تحوّل تساؤلها هذا إلى بركان من الشك والفضول ..

لماذا أفرغ رئيس مجلس الإدارة الأرفف من الكتب ؟ ..

لم تجد جوابًا لسؤالها ، فهزّت كتفيها لتنفضه عن رأسها ، وعادت تزاول عملها فى توتر ، وعقلها يعجز عن نسيان الأمر ..

وفجأة سمعت ذلك الصوت الأجش ، وهو يقول :

ـ أيمكننى مقابلة (حسن) بك ؟

رفعت رأسها إلى صاحب الصوت ، ووقع بصرها على شاب وسيم ، أنيق الملبس ، يتطلّع إليها بابتسامة ودود ، وإلى جواره آخر يناقضه فى كل شىء ، فهو غليظ الملامح ، حاد النظرات ، تحمل نظرته عدوانية عجيبة ، فى حين تحمل يده حقيبة كبيرة وشيئًا مفلطحًا كبيرًا مستطيلًا يخفيه داخل لفافة من أوراق الصحف ..

ولثوان لم تنطق (هدى) بحرف واحد ، وهى تنقل بصرها بين

الشابين ، حتى قال الوسيم بابتسامته اللطيفة :

ـ هل يمكننى مقابلته ؟

أيقظها تكرار السؤال من شرودها ، فقالت فى سرعة :

ـ أهناك موعد سابق ؟

هزّ الشاب رأسه ، وهو يقول :

ـ لا .. لايوجد موعد سابق .

قالت فى آلية :

ـ فى هذه الحالة لن يمكننى أن ..

قاطعها الشاب فى صرامة مفاجئة :

ـ ولكنه سيستقبلنى بالتأكيد .

تطلّعت إليه فى دهشة ، وهى تقول :

ـ لماذا ؟ .. أأنت أحد أقاربه ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ أخبريه فقط أن (حاتم) هنا .

أطاعته دون إصرار ، وضغطت زر الاتصال ، بينها وبين رئيس مجلس الإدارة ، وقالت :

ـ معذرة يا (حسن) بك ، ولكن هناك شاب يطلب مقابلتك .. اسمه (حاتم) ، و ..

قاطعها الرئيس فى لهفة واضحة :

ـ دعيه يدخل على الفور .

أدهشتها تلك اللهفة الشديدة فى صوته ، والتى يختفى داخلها شىء من التوتر والقلق ، ولكنها أجابت :

ـ كما تأمر يا سيدى .

ثم رفعت رأسها إلى الشاب ، مستطردة :

ـ (حسن) بك ينتظرك فى مكتبه .

ابتسم الشاب فى ثقة ، وهو يقول :

ـ ألم أقل لك ؟

ودخل إلى حجرة الرنيس ، وخلفه ذلك الغليظ ، الذى رمقها بنظرة لم ترق لها ، قبل أن يغلق الباب خلفه ، فقالت لنفسها فى حيرة :

ـ ترى من (حاتم) هذا ؟

قرّرت أن تنفض الأمر كله عن رأسها ، وأن تعود إلى عملها ، ولكنها فوجئت بصوت الرنيس ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ لا تسمحى لأى مخلوق بالدخول يا آنسة (هدى) ، مهما كانت الأسباب .

قالت فى حيرة :

ـ كما تأمر يا (حسن) بك .

ولكن فضولها ودهشتها تضاعفا ، مع كل تلك الإجراءات المعقدة ، وقفزا بغتة إلى ذروتهما ، مع صوت الدقات المكتومة ، التى تسلّلت إلى مسامعها ، من حجرة الرنيس ، والتى استمرّت بضع دقائق ، ثم توقفت ..

ومضت عشر دقائق أخرى ، بعد توقف الأصوات ، ثم غادر (حاتم) ورفيقه حجرة الرنيس ، وقد اتسعت ابتسامة (حاتم) ، وامتلأت بقدر أكبر من الظفر والثقة ، فى حين لم يعد رفيقه يحمل سوى الحقيبة ، التى بدا من طريقة حمله لها أنها صارت خاوية خفيفة ، ورمقها الغليظ بنظرة أخرى لم ترق لها ، وهو يغادر حجرتها مع (حاتم) ، الذى لوّح لها بأصابعه فى خفة وأناقة ، وهو يقول :

ـ إلى اللقاء يا آنسة (هدى) .

أجابت تحيته بهزة خفيفة من رأسها ، ثم غلبها الفضول ، فاتجهت

إلى حجرة الرنيس ، وطرقت بابها طرقة واحدة ، ثم دفعته وولجت الحجرة دون أن تنتظر الجواب ..

وفى حركة حادة عنيفة ، التفت إليها الرنيس ، هاتفًا :

ـ ما هذا ؟ .. كيف تجرئين على دخول مكتبى دون استئذان ؟

أجابته وفضولها يغلب ارتباكها :

ـ معذرة .. لقد دققت الباب ، وتصوّرت أن ..

صاح مقاطعًا فى عصبية :

ـ لا تدخلى حتى أدعوك .

لم تغضب لصيحته هذه المرة ، فقد انشغل عقلها مع عينيها ، فى التطلع

إلى أرفف المكتبة ، وقد عادت إليها كل الكتب ، ولكن دون نظام ..

وعندئذ أدركت (هدى) أن هذه الأرفف تخفى سرًا ..

سرًا رهيبًا .

★ ★ ★

٢ ـ السـر ..

بدت (هدى) شديدة الأناقة والجمال ، فى الصباح التالى ، وهى تدخل مقر الشركة ، وتلقى التحية على زميلاتها وزملائها ، الذين بادلوها التحية فى ارتياح ومرح ، وسألتها إحدى زميلاتها ، وهى تشير إلى دبوس أنيق من الماس ، يزين صدرها ، على هيئة زهرة بسيطة :

ـ ألا تخرجين مرة واحدة ، دون تلك الزهرة الماسية يا (هدى) ؟

ابتسمت (هدى) ، قائلة :

ـ إننى أتفاءل بها .

كانت هذه الزهرة الماسية بالفعل ، هى أفضل ما يميزها ، فهى لم تأت يومًا واحدًا إلى الشركة ، طوال سنوات عملها فيها ، دون أن تزين بها صدرها ، حتى أن بعض زميلاتها أطلقن عليها نفسها اسم (الزهرة الماسية) ، ورحن يداعبنها به طيلة الوقت ..

وفى ذلك اليوم لم تلتفت (هدى) كثيرا إلى زميلاتها ودعاباتهن ، فقد حضرت مبكرًا ، فى هذا اليوم بالذات ، لتبحث عن السر ..

سر مكتبة رئيس مجلس الإدارة ..

ولم تكد (هدى) تبلغ حجرتها الصغيرة ، الملحقة بحجرة الرئيس ، حتى أغلقت الباب خلفها فى إحكام ، ثم أسرعت إلى حجرة المدير ، وفتحت بابها فى لهفة ، وهى تتطلع إلى المكتبة ، ثم لم تلبث أن اندفعت نحوها ، وراحت تفحص تلك الأرفف ، التى كانت خالية فى اليوم السابق ، فى اهتمام بالغ وسرعة كبيرة ..

كان شكل المكتبة الخارجى يبدو عاديًا ، لايدعو للشك ، أو يثير الانتباه ،

ولكنها لاحظت أن الكتب الموضوعة فى هذا الرف ، تبدو وكأنها تحتل مساحة أكبر من باقى الكتب ، فمدت يدها فى اهتمام ، تلتقط واحدًا من هذه الكتب ، عندما سمعت صوت الرئيس من خلفها ، وهو يقول فى حدة وصرامة :

ـ ماذا تفعلين ؟

انتفض جسدها كله فى عنف ، وقفز الكتاب من يدها ، واستقر بين قدميها على الأرض ، وهى تلتفت فى ذعر إلى رئيس مجلس الإدارة ، الذى يرمقها بنظرة عدائية شرسة غاضبة ، وحاولت أن تتماسك ، وهى تهتف :

ـ (حسن) بك .. لقد أفزعتنى .

كرّر سؤاله فى غضب وصرامة :

ـ ماذا تفعلين ؟

ارتبكت أكثر وأكثر ، وهى تقول :

ـ لاشىء يا (حسن) بك .. لم تكن الكتب موضوعة بنظام جيد ، فأردت إعادة ترتيبها قبل حضورك .. هذا كل شىء .

رمقها بنظرة شك شديدة ، وهو يتطلع إليها فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ لاتدخلى مكتبى دون استئذان .

هزت رأسها فى قوة ، معلنة استسلامها لعبارته ، وأسرعت تغادر حجرته إلى حجرتها ، فى حين ظل هو معقود الحاجبين ، يتطلع إلى الباب الموصل بين حجرتيهما ، ثم جلس خلف مكتبه ، وتطلع لحظة إلى المكتبة ، وبعدها التقط سماعة الهاتف ، وضغط أزراره فى بطء ، وانتظر حتى سمع صوت (حاتم) ، فقال فى توتر بالغ :

ـ يبدو أن أحدهم قد كشف أمرنا يا (حاتم) ، وأصبح من المحتم أن نتخذ اجراء وقائيًا سريعًا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ وحاسمًا .

★ ★ ★

لم يتوقف جسد (هدى) عن الارتجاف ، وهى تقف أمام نافذة حجرتها ، فى الطابق الرابع ، متطلعة إلى الطريق فى شرود ..

لقد أصبحت واثقة ، دون أدنى شك ، من أن هذه المكتبة تخفى سرًا ما ، يثير أعصاب رئيسها إلى هذا الحد ..

ولكن أى سر هذا ؟ ..

ولماذا يقلق رئيس مجلس الإدارة هكذا ؟ ..

اشتعل فضولها الأنثوى أكثر وأكثر ، وراح يلتهم عقلها بلا رحمة ، حتى سمعت صوت رئيسها يقول :

ـ آنسة (هدى) :

انتزعها صوته من شرودها وأفكارها ، فاندفعت إلى جهاز الاتصال ، هاتفة :

ـ تحت أمرك يا سيدى .

انتفض جسدها ، عندما وجدته يقف أمامها ، وتراجعت عن مكتبها ، قائلة فى توتر :

ـ (حسن) بك .. أأنت هنا ؟

أخافتها نظراته الحادة ، قبل أن يبتسم قائلًا :

ـ هل يضايقك هذا ؟

هزت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ مطلقًا .

صمت لحظات أخرى ، ثم قال فى هدوء عجيب :

ـ ما رأيك فى عمل إضافى ؟

كانت بالنسبة إليه عقبة فى طريق الملايين ، التى حلم بامتلاكها .. الملايين التى أقنعته بمشاركة (حاتم) و (رأفت) عملهما القذر ..

بدا العرض أشبه برشوة صريحة ، ولكن فضولها دفعها للتظاهر بالقبول ، وهى تقول فى سرعة :

ـ لا بأس .. أين ؟

ابتسم قائلًا :

ـ هنا .

رنّدت خلفه فى دهشة :

ـ هنا ؟!

أجاب فى هدوء :

ـ نعم .. هنا .. هناك عمل يحتاج منا إلى البقاء ، بعد ساعات العمل المعتادة ، وسأمنحك مكافأة ضخمة لو قبلت ، و ..

قاطعته فى سرعة :

ـ إننى أقبل .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ عظيم .

وعاد إلى حجرته فى هدوء ، تاركًا إياها فى لجة من الانفعالات والدهشة والتساؤل ، غارقة وسط بحر من الفضول والشك ..

بحر بلا قرار ..

★ ★ ★

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة مساءً دون أن يغادر رئيس مجلس الإدارة مكتبه ، أو يكلفها أية أعمال ، حتى تحوّل الفضول والشك فى أعماقها إلى ملل وضجر لا حدود لهما ، فنهضت تتطلع من النافذة إلى المدينة الغارقة فى صمت وسكون ، فرضهما الطقس الشديد البرودة فى الخارج ، وتمتمت :

ـ كم أتوق إلى قدح من الشاى .

تنهدت فى عمق ، ثم اتجهت إلى باب حجرتها ، وهى تتابع :

ـ لو أن عم (على) ترك أدواته فى حجرته ، فسأمنحه مكافأة كبيرة فى الصباح .

غادرت حجرتها إلى الممر الخارجى ، وأدهشها أن وجدت المكان كله خاليًا ساكنًا ، فغمغمت فى شك :

ـ أين ذهب الجميع ؟ .. هل يعمل رئيس مجلس الإدارة وحده هذا المساء ؟

بحثت فى المكاتب عن أحد من الزملاء ، ولكنها وجدتها خالية تمامًا ، فتسلّل الشك إلى نفسها ، وهى تقول :

ـ لماذا طلب منى الحضور ، فى هذه الساعة المتأخرة إذن ؟

تحوّل شكها إلى مزيج من الخوف والقلق ، عندما تناهى إلى مسامعها وقع أقدام تقترب ، من ممر جانبى ، فتراجعت فى ذعر ، والتصقت بالحائط ، ولكن وقع الأقدام واصل اقترابه وتقدّمه ، فاندفعت عائدة إلى حجرتها ، ولم تكد تلجها حتى أطلقت شهقة ذعر ودهشة ، عندما وجدت (حاتم) داخلها ، يتطلّع إليها بابتسامة ساخرة ، فهتفت :

ـ أستاذ (حاتم) ؟! .. كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابها فى برود ساخر :

ـ لدى وسائلى .

كانت نظراته تحمل شيئًا مخيفًا ، جعلها تتراجع أكثر وأكثر ..

وفجأة أمسكت يد قوية كتفها من الخلف ، فأطلقت صرخة فزع قصيرة ، وهى تلتفت إلى صاحبها ، ولم تكد ترى وجهه ، حتى أطلقت صرخة أكثر قوة ..

كان صاحب الملامح الغليظة ، الذى يرافق (حاتم) دائمًا ، ولقد سألها هذا الأخير بابتسامته الساخرة :

ـ هل أفزعك (رأفت) ؟

أرادت أن تنفى هذا ، ولكنها وجدت نفسها تجيب فى صوت مرتجف :

ـ نعم .

أطلق (حاتم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ إنه يستحق العقاب إذن .

ثم مال نحوها ، وداعب شعرها الأسود الناعم بسبّابته ، وهو يسألها :

ـ ماذا وجدت فى المكتبة ؟

هوى قلبها بين قدميها ، وهى تقول فى ذعر :

ـ المكتبة ؟! .. وما شأنى أنا بالمكتبة ؟

أطلقت شهقة رعب ، عندما جذبها من شعرها بغتة ، وهو يكرّر فى صرامة :

ـ ماذا وجدت ؟!

هتفت :

ـ لم أجد شيئًا ...أقسم لك .

ارتسم الغضب على وجهه ، وأمسك زهرتها الماسية ، وهو يقول :

ـ أنيق جدًا هذا الدبوس الماسىّ .. أليس كذلك ؟

رأت رئيسها يعبر ذلك الباب ، الذى يصل مكتبها بمكتبه ، فهتفت به مستنجدة :

ـ (حسن) بك .. النجدة !

ولكن الرجل تجاهلها تمامًا ، وهو يسأل (حاتم) :

ـ هل تعلم شيئًا ؟

أجابه (حاتم) فى ضيق :

ـ إنها ترفض الاعتراف بهذا .

أشار رئيسها بكفه ، قائلًا :

ـ دعنا نتخلّص منها إذن . فلم يعد أمامنا سوى هذا .

صاحت (هدى) فى رعب :

ـ تتخلّصون منى ؟! .. ولكن لماذا يا (حسن) بك ؟ .. إننى لم أفعل شيئًا .

ألقى (حسن) عليها نظرة متوترة ، ثم قال لـ (حاتم) فى عصبية :

ـ هيا .. فلننته من هذا الأمر فى سرعة .

ثم عاد إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، فأشار (حاتم) إلى (رأفت) ، قائلًا :

ـ هيا .. ألم تسمع ما قاله الرجل ؟

حملها (رأفت) كطفل صغير ، وهو يحيط ذراعيها بساعديه فى قوة ، فصرخت :

ـ لا .. لا .. اتركونى .

ولكن (حاتم) فتح نافذة حجرتها ، وهو يقول ساخرًا :

ـ الوداع يا آنسة (هدى) .. تسعدنى معرفتك ، على الرغم من قصرها .

أطلقت صرخة رعب أخرى ، وقاتلت بكل قوتها ، للحفاظ على حياتها ، ولكن (رأفت) كان قويًا للغاية ، وهو يحملها إلى النافذة ، ثم يلقيها خارجها فى هدوء ..

من الطابق الرابع .

٣ ـ المجهول ..

، وقيد الحادث ضد مجهول .. ،

قالها (حاتم) وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يرفع كأسه فى وجهى (رأفت) و (حسن) ، مستطردًا في سخرية :

ـ نخب هذا المجهول ، الذى خلصنا من هذه الفضولية .

رفع (رأفت) كأسه ، يضربه بكأس (حاتم) ، فى حين عقد (حسن) حاجبيه ، وبدا الضيق على وجهه ، فسأله (حاتم) فى سخرية :

ـ ألا يروق لك هذ النخب ؟

قال (حسن) فى حدة :

ـ لا يروق لى الأمر كله .. لقد ارتكبتما جريمة قتل ، فما الذى يستحق الاحتفال فى هذا ؟

رفع (حاتم) حاجبيه فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ارتكبنا ؟! .. تقصدنا جميعًا بالتأكيد ، فأنت شريك متضامن فى هذه الجريمة .

أشاح (حسن) بوجهه ، قائلًا :

ـ فليكن .. ما زال الأمر إذن لا يستحق الاحتفال .

قهقه (حاتم) ضاحكًا ، وقال :

ـ يا للمشاعر الرقيقة .

ثم مال نحوه ، مستطردا فى جدية :

ـ ولكن فى نظرى أنا يستحق الأمر الاحتفال .. بل يستحق حفلًا كبيرًا ، فلقد تخلصنا من تلك الفضولية ، ولم نتعرض لأى عقاب ، وأمكننا إقناع الجميع بانتحارها ، بسبب قصة حب فاشلة ، وحافظنا على سرنا فى الوقت ذاته ، فما الذى تطلبه أكثر من هذا ؟

لوّح (حسن) بكفه ، قائلًا فى حدة :

ـ لا شىء .

ثم هبّ واقفًا ، وهو يقول :

ـ سأنصرف .. أريد العودة إلى منزلى مبكرا .

قال (حاتم) ساخرًا :

ـ لماذا ؟ .. إنك أرمل حسبما نعرف .

صاح محتدًا :

ـ أريد الرحيل فحسب .. أنا حر فى اتخاذ مثل هذا القرار .. أليس كذلك ؟

واندفع مغادرًا المكان ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، فانعقد حاجبا (حاتم) فى غضب وصرامة ، وهو يقول :

ـ أعصابه المرتجفة هذه لا تروق لى .

ارتشف (رأفت) كأسه فى هدوء ، وهو يقول بصوته الأجش :

ـ اطمئن .. إنه متورّط مثلنا تمامًا .

ـ قلب (حاتم) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ كم أكره الضعفاء أمثاله .. إننى أحلم بخنقه بيدى ، ولكننا نحتاج إلى وجوده على قيد الحياة للأسف .

ابتسم (رأفت) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ إنها أفضل صفقة عقدناها ، فلن تكشف الشرطة مخزننا الجديد هذا قط .

صمت (حاتم) لحظات ، ثم قال :

ـ ربما كان هذا صحيحا ، ولكننى لا أشعر بالارتياح ، عندما نتعامل مع شخص غير محترف ، وجشع فى الوقت نفسه .

توقف (رأفت) عن ارتشاف كأسه ، وسأله فى اهتمام :

ـ أتخشى أن يسرقنا ؟

أجابه (حاتم) فى صرامة :

ـ لن يجرؤ .

ثم تطلع إلى الباب ، الذى غادره (حسن) منذ قليل ، وأضاف فى شراسة :

ـ ولو فعل فسأقتله .. سأقتله بلا رحمة .

★ ★ ★

شعر (حسن) بثقل يجثم على صدره ، وهو يقود سيارته عائدا إلى منزله ، فى هذه الليلة ، وزفر من أعماق صدره فى حدة وضيق ..

لم يكن باستطاعته أبدا أن يتكيف مع ما حدث ..

صحيح أنه شريك فى الجريمة ، ولكنه ليس محترفا ، ولم يكن يرغب أبدا فى أن تصل الأمور إلى هذا الحد ..

لولا فضول (هدى) ..

راح يلعن الفضول الأنثوى ، الذى جعلها تدس أنفها فيما لا يعنيها ، وتضطرهم للتخلص منها ..

ولكنه وافق على هذا ..

وافق على قتلها ..

كانت بالنسبة إليه عقبة فى طريق الملايين ، التى حلم بامتلاكها ..

الملايين التى أقنعته بمشاركة (حاتم) و (رأفت) عملهما القذر ..

لقد أبلغاه أنه سيحصل على عشرة فى المائة من قيمة المخدر ، الذى يخزنانه فى مكتبه ، بعيدا عن أعين رجال الشرطة ومكافحة المخدرات ..

وكانت فكرتهما عبقرية ، وتبدو مأمونة للغاية ..

وهما توليا كل مراحل التنفيذ ..

كل ما فعله هو أن أزاح الكتب ، من أرفف المكتبة ، ثم جاءا ، وصنعا ذلك المخزن السرى ، فى خلفية المكتبة ، وأعادا الأرفف إلى موضعها ، ولم يعد من الممكن أن يكشف مخلوق واحد سر هذا المخزن الجديد ، ولا أن يشك فى أن مكتب رئيس مجلس إدارة الشركة يخفى شيئا كهذا ..

لولا فضول (هدى) ..

فضولها الذى حوّل الأمر ، من مجرّد إخفاء مخدرات ، إلى جريمة قتل ، مع سبق الإصرار والترصّد ..

ولكن من يمكنه إثبات التهمة عليه ؟

لقد أقنعها بالبقاء فى الشركة ، بعد انصراف الجميع ، وتظاهر هو نفسه بالانصراف ، أمام أعين الجميع ، بعد أن تسلّل من الباب الخلفى لمكتبه ، ثم عاد سرًا من الباب نفسه ، بعد موعد الانصراف بساعة واحدة ، دون أن يشعر به حارس المبنى ، فى حين بقيت (هدى) فى مكتبها ، وهى تظنه داخل مكتبه ، دون أن تنتبه إلى انصرافه وعودته ..

ثم جاء (حاتم) و (رأفت) ، من الباب الخلفى أيضا ..

وكان ما كان ..

زفر مرة أخرى فى عصبية وتوتر ، وانتبه إلى أنه قد اقترب من منزله ، فخفض سرعة سيارته ، وانحرف بها نحو الإفريز ، و ..

وفجأة انتفض جسده كله فى رعب ..

وفقد السيطرة على عجلة القيادة ..

وانحرفت السيارة فى عنف ، لترتطم بالإفريز فى قوة ، ثم تقفز

فوقه ، وتصطدم بجدار منزله ..

وعلى الرغم من الحادث ، ومن ارتطام عجلة القيادة بصدره ، إلا أنه لم يوقف محرّك السيارة ، ولم يشعر بالألم ، بل ظلّ يحدّق فى الطريق ذاهلًا ..

لقد رآها ..

من المؤكد أنه رآها ..

كانت تسير عند ناصية الشارع ، وهو يقترب من منزله ..

ولقد رمقته بنظرة لن ينساها أبدًا ..

نظرة غاضبة ، تفيض مقتًا وكراهية ..

وبكل الرعب فى أعماقه ، راح جسده ينتفض ، وهو يحدّق فى الناصية الخالية فى ذهول ، حتى اندفع بواب العمارة إليه ، هاتفًا :

ـ (حسن) بك .. رباه ! .. ماذا حدث يا بك ؟

انتفض وهو يلتفت إليه ، ويحدّق فى وجهه لحظة ، وكأنه يراه لأوّل مرة ، ثم سأله فى عصبية بالغة :

ـ من هذه المرأة ؟

توقف البوّاب فى دهشة ، يسأله :

ـ أية امرأة ؟

سأله فى حدّة :

ـ تلك التى غادرت البناية توًا .

بدت الحيرة على وجه البوّاب ، وهو يقول :

ـ لست أدرى يا (حسن) بك .. لم أكن هنا ، و ..

صرخ فيه (حسن) :

ـ ما الذى تعنيه بأنك لم تكن هنا .. عملك هو أن تبقى ، وأن تحرس المكان طيلة الوقت .

قال البواب فى توتر :

ـ ولكننى بشر يا (حسن) بك ، ولدى احتياجاتى .

صرخ فيه :

ـ كلنا بشر ، وكلنا ..

بتر عبارته بغتة ، وعاد الرعب يملأ نفسه فى عنف ، وهو يصرخ فى أعماقه ..

نعم .. كلنا بشر ، ولكن ماذا عنها ؟

أهى بشر أيضًا ؟ ..

مستحيل أن تكون كذلك .. لقد تعرّف جثتها فى المشرحة ، وحضر جنازتها بنفسه ، ورآهم يضعون جسدها فى مقبرة أسرتها ..

من تلك التى رآها الآن إذن ؟ ..

إنها شبح ..

نعم .. شبحها ..

ارتجف جسده للفكرة ، واخترق صوت البوّاب أذنيه ، وهو يسأله :

ـ أأنت بخير يا (حسن) بك ؟

التفت إليه فى ارتياع ، وغمغم شاحبًا :

ـ لا .. لست بخير .

عاونه البوّاب على الخروج من السيارة ، ثم دفعها بيديه إلى جوار الإفريز ، وسأله فى حذر :

ـ هل أستدعى طبيبًا ؟

هزّ (حسن) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. لست أحتاج إلى طبيب .. إنه بعض الإرهاق فحسب .

رافقه البوّاب حتى المصعد ، وسأله :

ـ هل أصعد معك ؟

لوّح (حسن) بكفه ، قائلا :

ـ كلا .. يمكننى الصعود وحدى .

استقل المصعد ، وصعد به إلى منزله ، وصورتها لا تنمحى من رأسه قط ..

لقد رآها ..

مستحيل أن يكون هذا وهما !! ..

الوهم لا يأتى قويًا بهذه الصورة ..

ولا واضحا على هذا النحو ..

ولكن ماذا لو أنه رأى أخرى تشبهها ، وصوّر له عقله القلق أنها هى ؟! ..

راقه هذا التفسير ، وراح يقويه فى أعماقه ..

نعم .. إنها امرأة أخرى ..

كل ما فى الأمر هو أنه كان منهمكا فى التفكير فيها ، عندما وقع بصره على هذه المرأة ، فصوّر له خياله أنها (هدى) ..

هذا هو المنطق الصحيح ..

لقد ماتت (هدى) ..

والموتى لا يعودون ..

وقر هذا فى نفسه ، وعاد الارتياح يتسلل إليه ، وهو يغادر المصعد ، ويتجه إلى شقته ، ففتح بابها ، ودلف إلى ردهتها ، وأضاء مصابيح الردهة وهو يطلق من بين شفتيه صفيرا منغوما ، محاولا السيطرة على

أعصابه ، واتجه مباشرة إلى حجرة نومه ، و ..

وانتفض جسده فى رعب أكثر ، جعله يتراجع كالمصعوق ، ويلتصق بالحائط فى ذعر لا مثيل له ..

فهناك ، فوق فراشه ، وفى منتصفه مباشرة ، كانت تستقر زهرة صغيرة ، انعكست فوقها أضواء الحجرة ، فتألقت بضوء خلّاب ..

ولم تكن مجرّد زهرة عادية ..

كانت زهرة رآها كثيرًا ، طوال فترة عمله بالشركة .

إنها نفس الزهرة ، التى كانت ترتديها (هدى) ، دائما ..

الزهرة الماسية ..

٤ ـ الشبح ..

التقى حاجبا (حاتم) فى شدة ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يمسك تلك الزهرة الماسية ، ويتطلع إليها فى دهشة وحيرة وتوتر ، قبل أن يقول فى حنق :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

لم يكن جسد (حسن) قد توقف عن الارتجاف بعد ، وهو يهتف :

ـ لقد عادت .. عادت من قبرها لتنتقم .

قال (رأفت) فى خشونة :

ـ الموتى لا يعودون .

لوّح (حسن) بكفه فى عنف ، وهو يهتف :

ـ كيف تفسّر هذا إذن ؟ .. كيف وصلت تلك الزهرة الماسية إلى فراشى ؟

لم يكن لديهما تفسير لهذا ، فاكتفى (رأفت) بتكرار عبارته :

ـ الموتى لا يعودون أبدًا .

أما (حاتم) ، فقال فى عصبية :

ـ هناك شخص ما يعبث بنا .

هتف (حسن) :

ـ شخص مثل من ؟! .. لقد كانت وحدها تعرف سرنا ، ولم يرنا أحد ، عندما ألقينا بها من النافذة ، وإلا شهد ضدنا ، فمن هذا الذى يعبث بنا ؟!

قال (حاتم) فى حدة :

ـ شخص يريد ابتزازنا ، أو أحد أقاربها .

قال (حسن) فى انهيار :

ـ أى أقارب ؟ .. أنسيت أن جنازتها كلها لم تضم سوى زملائها فى الشركة ؟ .. إننا لم نر سوى خالها الكهل ، وعمتها العجوز .. أيهما فى رأيك يمكنه التسلل إلى شقتى ، ووضع هذه الزهرة الماسية فوقه ؟

صاح (حاتم) :

ـ أى شخص ؟

كان يشعر فى أعماقه أيضًا بالتوتر والعصبية ، وبشىء من الخوف ، جعله يردّد فى حزم :

ـ لست أومن بالأشباح والعفاريت .

قالها وكأنه يحاول إقناع نفسه بها ، فردّد (رأفت) :

ـ وأنا كذلك .

صاح (حسن) :

ـ أما أنا فأومن بالأشباح ، والعفاريت ، والأرواح ، وكل خرافات الدنيا ، فقد رأيتها بنفسى هذه الليلة .

هزّ (حاتم) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ لست أصدّق هذا .

قال (حسن) فى عصبية بالغة :

ـ صدقه أو لا تصدّقه .. لقد رأيتها بنفسى .. صحيح أننى حاولت إقناع عقلى بأن هذا مجرّد وهم ، ولكننى أيقنت من أننى رأيتها بالفعل ، عندما وجدت هذه الزهرة الماسية على فراشى .

قال (حاتم) فى حدة :

ـ شخص ما يعبث بنا .. يمكننى أن أقسم على هذا .

ثم التفت إلى (رأفت) ، وقال فى صرامة :

ـ اذهب فى الصباح إلى المستشفى ، وأحضر لى نسخة من شهادة وفاتها ، وحاول أن تعرف من تسلّم متعلقاتها .

أومأ (رأفت) برأسه إيجابًا ، فى حين قال (حسن) فى توتر :

ـ ويم يفيدنا هذا ؟

أجابه (حاتم) :

ـ ستؤكدّ لنا شهادة الوفاة مصرعها ، وسنعلم من حصل على الزهرة الماسية ، ومن يعبث بنا الآن .

قال (حسن) فى حدة :

ـ وماذا عن تلك التى رأيتها ؟

أجابه فى عصبية :

ـ وهم .. مجرّد وهم ، ولن أومن بالعكس أبدًا .

لم يعد (حسن) يشعر بالرغبة فى مجادلته ، بعد كل عناده وإصراره ، ولكنه فى أعماقه ظلّ يشعر أنه لا يقاتل بشرًا ..

بل شبحًا ..

شبحها ..

★ ★ ★

من المؤكّد أن (حسن) لم ينعم بنوم جيد ، فى هذه الليلة ، فقد بدا شديد الإرهاق ، وهو يذهب إلى مكتبه ، فى الصباح التالى ، حتى أن سكرتيرته الجديدة سألته فى قلق :

ـ أأنت بخير يا (حسن) بك ؟

لوّح بكفه فى عصبية ، دون أن يجيب ، ودخل إلى حجرته فى حدة ، وصفق بابها خلفه فى قوة ، ثم ألقى جسده على ذلك المقعد الوثير خلف

مكتبه ، وأطلق من أعماق صدره زفرة قوية عنيفة ..

إنه لم يحظ بالنوم حقًا ..

ظل طيلة الوقت يتخيّل أن شبحها سيظهر فجأة فى حجرته ..

تصوّرها ترمقه بنفس النظرة المفعمة بالبغض والكراهية والحقد ، وهى تقف على قيد خطوة واحدة من فراشه ، ثم تنحنى نحوه حتى تكاد تلامس وجهه ، وتقول بصوت عميق ، وكأنه يأتى من أعماق قبرها :

ـ أنت قتلتنى .

انتفض فى عنف ، عندما بلغ بخياله هذه النقطة ، وراح يتلفّت حوله فى رعب ، وكأنه يخشى أن يبرز الشبح إلى جواره بغتة ، ثم جرى بصره فوق مكتبه ..

وتجمّد فى رعب حقيقى ..

كان هناك مسدس صغير ، يستقر على سطح مكتبه ، فوق عدد من الأوراق والمستندات ..

مسدس لم ينتبه إليه إلا فى هذه اللحظة ..

وكان هذا المسدس مسدسه الشخصى ..

نفس المسدس الذى يحتفظ به فى حجرة نومه ..

وفى رعب ، راحت عشرات الأسئلة تدور فى رأسه ..

كيف أتى المسدس إلى هنا ؟ ..

من أحضره ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لم يجد فى نفسه جوابًا سوى هذا الشبح ..

شبحها الذى يطارده ، ويسعى للانتقام منه ..

ولكن لماذا أحضر الشبح هذا المسدس ؟ ..

هل يحاول دفعه للانتحار ؟ ..

ارتجف أكثر وأكثر مع هذا الخاطر ، وظل يتطلع إلى المسدس فى رعب ، وهو يخشى مجرد لمسه ، ثم لم يلبث أن استجمع البقية الباقية من شجاعته ، ومد يده إلى المسدس فى حذر ، وقبل أن تبلغه أصابعه ، ارتفع رنين الهاتف بغتة ، فتراجع فى ذعر ، وأطلق شهقة فزع ، وراح قلبه يخفق فى عنف ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وقال بصوت مختنق :

ـ من المتحدث ؟

أتاه صوت (حاتم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ إنه أنا .. أخبرنى .. أما تزال تلك الزهرة الماسية بحوزتك ؟

أجابه (حسن) :

ـ لقد تركتها بالمنزل .. كيف كنت تريد منى حملها ؟

ثم سأله فى لهفة :

ـ هل علمت من أخذها من المستشفى ؟

أجابه (حاتم) فى عصبية :

ـ هناك من يعبث بنا حتمًا .

سأله (حسن) :

ـ هل عرفت من هو ؟

صمت (حاتم) لحظة ، بدت أشبه بدهر كامل ، بالنسبة لـ (حسن) ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ الزهرة الماسية ما تزال بالمستشفى .

ارتجف جسد (حسن) ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

صرخ الرعب فى أعماقه ..

كيف . ما تزال بالمستشفى ، وقد تركها بالمنزل هذا الصباح ؟

كيف ؟! ..

أتاه صوت (حاتم) ، عبر الهاتف ، وهو يتابع متوترًا :

ـ لم يتسلم أحد متعلقات (هدى) حتى الآن ، وشهادة وفاتها واضحة وصريحة .. كسر فى الجمجمة ، وهبوط حاد فى الدورة الدموية ، مع تمزق بالنخاع الشوكى ..

لقد قرأت شهادة الوفاة ، ورأيت الزهرة الماسية بنفسى .

لم يجب (حسن) ..

فقط ترك سماعة الهاتف تسقط من يده ، وهو يحدق فى المسدس ذاهلًا ..

الآن فقط لم يعد لديه شك ..

إن شبحها يطارده ..

ومن المؤكد أنه يحاول دفعه إلى الانتحار ..

وفى آلية ، امتدت يده إلى المسدس ، والتقطه ، ورفعه نحو رأسه ، و ..

وأفاق فجأة ..

أفاق من رعبه وذهوله ، فأبعد المسدس عن رأسه فى ذعر ، وحدق فيه لحظة ، ثم أسرع يفتح درج مكتبه ، ويلقيه داخله ، ثم أغلقه فى قوة ، وجلس يلهث فى توتر وانفعال ..

لا .. لا يمكن أن ينتحر ..

لن يموت قبل أن يجمع كل الملايين ، التى فعل من أجلها هذا ..

لن يقتل نفسه ، قبل أن يحصد ثمار مخاطرته ..

لقد جازف بمنصبه ، وماضيه كله ، مقابل أن يحقق ذلك الثراء ، الذى يحلم به منذ شبابه ..

صحيح أنه رئيس مجلس إدارة شركة مرموقة ، ولكن راتبه ، الذى يحسده عليه الكثيرون ، لا يكفى لتحقيق طموحاته التى بلا حدود ..

إنه يحلم بسيارة فارهة ، يفوق ثمنها راتبه فى خمس سنوات ، وفيلا أنيقة ، فى أرقى أحياء (القاهرة) ، وأخرى على شاطئ البحر فى (الإسكندرية) ، وثالثة فى أوروبا ، ورصيد ضخم فى البنوك ، ورحلات فاخرة حول العالم ..

كل هذا لن يحققه راتبه ، بل ستحققه تلك المخدرات ، المخزونة خلف تلك المكتبة الضخمة ، التى تحتل حائطًا بأكمله فى حجرته ..

ولكن هل سيتركه الشبح ، حتى يحقق كل هذا ؟ ..

هل سيتخلى عن انتقامه ؟!

شعر برأسه يدور ، وبالدنيا تظلم أمام عينيه ، ولكنه تماسك ..

لم يكن يرغب أبدًا فى العودة إلى منزله ..

البقاء فى الشركة كان بالنسبة إليه أفضل كثيرًا ..

لذا فعليه أن يحتمل ..

وأن يبقى ..

★ ★ ★

« كيف تفسّر هذا ؟ .. »

سأل (رأفت) هذا السؤال ، وهو يرتشف الخمر فى بطء ، ففرك (حاتم) كفيه ، وهو يقول فى توتر :

ـ هناك من يعبث بنا .. شخص ما يعلم ما فعلناه ، ويحاول إثارة

أعصابنا ، قبل أن يسعى لابتزازنا .. هذا هو التفسير الوحيد .

ابتسم (رأفت) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ ربما كان هناك تفسير آخر .

التفت إليه (حاتم) فى حركة حادة ، وسأله :

ـ أى تفسير هذا ؟

ارتشف (رأفت) رشفة من كأسه فى هدوء ، وقال :

ـ ربما افتعل (حسن) كل هذا .

عقد (حاتم) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ ولماذا يفعل ذلك ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ ربما كانت لديه أسبابه .

جلس (حاتم) أمام (رأفت) ، وسأله فى عصبية :

ـ أتظنه يسعى لخداعنا ؟

هزّ (رأفت) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

ـ ربمَا .

ارتسم الغضب على وجه (حاتم) ، وقال فى حدة :

ـ سأقتله ، لو كان هذا صحيحًا .

وقبض أصابعه ، مُستطردًا فى توتر بالغ :

ـ أقسم أن أفعل .

★ ★ ★

أعلنت عقارب الساعة تمام الثالثة ، موعد انصراف العاملين بالشركة ، وبدأ التوتر يتسلل إلى قلب (حسن) .

إنه لا يرغب حقًا فى الانصراف ..

البقاء فى الشركة يشغله بالعمل على الأقل ، فلا يفكر فى (هدى) وشبحها ومشكلاتها ..

تنهد فى عمق ، وغمغم :

ـ ولكن الانصراف أمر حتمى .

نهض من خلف مكتبه ، وهمّ بالانصراف ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف فى اللحظة نفسها . فالتقط سمّاعته ، وقال :

ـ من المتحدث ؟

أتاه صوت أنثوى ساخر ، يقول :

ـ إنه أنا .

كانت أقوى انتفاضة سرت فى جسده منذ مولده ..

كل خلية من خلاياه انتفضت ، وارتجفت ، وصرخت ..

كل ذرة فى جسده شهقت فى رعب ..

إنه صوتها ..

صوت (هدى) ..

وفى رعب هائل هتف :

ـ من أنت ؟

أجابته بنفس اللهجة الساخرة :

ـ ألا تعرفنى حقًا ؟!

ارتجف أكثر وأكثر ..

ولكن لماذا تتصل به هاتفيًا ؟ ..

البشر وحدهم يفعلون هذا .

وسألها مرتجفا :

ـ ماذا تريدين ؟

أجابته :

ـ أردت أن أشكرك على هديتك .

ردّد فى خوف :

ـ هديتى ؟!

أجابت ساخرة :

ـ نعم .. هديتك الثمينة .. لقد حصلت عليها بنفسى ، من تلك الخزانة السرية ، خلف مكتبك .

صرخ فى رعب :

ـ ماذا ؟

ألقى سمّاعة الهاتف ، واندفع نحو المكتبة كالمجنون ، وراح يلقى الكتب عن الأرفف فى ذعر ، ثم لم تلبث الدماء أن تجمّدت فى عروقه ..

كانت الخزانة السرية خالية تمامًا ..

إلا من شىء واحد ..

زهرة ماسية صغيرة ..

وانهار (حسن) ، فوق أقرب المقاعد إليه ، ومن سمّاعة الهاتف ، التى لم تستقر فى موضعها الصحيح ، انبعثت ضحكة ساخرة ، جعلته ينتفض ، ثم يقفز إلى مكتبه ، ويلتقط السمّاعة صارخًا :

ـ ابتعدى .. ابتعدى عنى .

ثم أغلق السمّاعة فى عنف ، وجسمه كله ينتفض فى قوة ، وقلبه ينبض فى جنون ..

ماذا سيفعل الآن ؟ ..

كل أحلامه ضاعت ..

تحطمت ..

هيروين نقى ، بعشرة ملايين دولار اختفى ..

ضاع ..

تبخر ..

وفى يأس وانهيار ، ضغط زر الاتصال ، بينه وبين سكرتيرته ، وقال :

ـ آنسة (سهير) .. يمكنك الانصراف .. سأبقى بعض الوقت .

قالت عبر جهاز الاتصال :

ـ لو أنك تحتاج إلى فيمكننى أن أبقى يا سيدى ، و ..

قاطعها فى حدة :

ـ قلت انصرفى .. هيا .

غمغمت فى دهشة :

ـ حسنًا يا سيدى .. سأنصرف .

أنهى الاتصال فى عصبية ، ثم التقط سماعة الهاتف ، وضغط أزراره فى توتر ولم يكد يسمع صوت (حاتم) ، حتى قال :

ـ (حاتم) .. احضر إلى مكتبى الآن ..

سأله (حاتم) فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟ .. أرأيت الشبح مرة أخرى ؟

أجابه فى اضطراب :

ـ بل رأيت الزهرة .. الزهرة الماسية .

سأله (حاتم) فى حذر :

ـ وأين رأيتها هذه المرة ؟ .. على سطح مكتبك ؟!

ازدرد لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ بل فى الخزانة .. الخزانة السرية .

صرخ (حاتم) :

ـ ماذا ؟!

وقفز من مقعده ، هاتفًا :

ـ انتظرنى .. سأحضر على الفور .

قال (حسن) فى انهيار :

ـ لا تدخل من الباب الأمامى .

صاح (حاتم) :

ـ أعلم .. أعلم .. سأدخل من الباب الخلفى .

وانهى المحادثة فى عنف ، فسأله (رأفت) :

ـ ماذا يقول هذه المرة ؟

أجابه (حاتم) فى انفعال شديد :

ـ يقول : إنه وجد الزهرة الماسية فى خزانتنا .

هتف (رأفت) مذعورًا :

ـ فى خزانتنا ؟!

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى غضب :

ـ إذن فهذا هو السر .

سأله (حاتم) :

ـ أى سر ؟

أجابه فى حدة :

ـ السر الذى من أجله اخترع (حسن) هذه القصة كلها ..

اتسعت عينا (حاتم) ، وقد أدرك ما يعنيه (رأفت) ، وهتف :

ـ فهمت .. إذن فقد اخترع القصة كلها ليسرق الهيروين .

وزمجر فى وحشية ، مستطردًا :

ـ يا للجشع .

ثم هب مردفًا :

ـ هيا بنا .. سنزور هذا الوغد فى مكتبه .

سأله (رأفت) ، وهو يتبعه :

ـ ماذا ستفعل ، لو كنت على حق ؟

أخرج (حاتم) مسدسه ، وجذب مشطه فى قوة ، وهو يجيب :

ـ سأقتله .

وبدا أشبه بوحش مفترس ، وهو يستطرد :

ـ سأقتله بلا رحمة .

٥ ـ واختلفوا ..

تفجرت حمم الغضب فى جسد (حاتم) ، وهو يحدق فى الخزانة الخاوية ، قبل أن يلتفت إلى (حسن) ، ويصرخ فى وجهه :

ـ هل تتوقع منى أن أصدق هذا ؟

سأله (حسن) فى دهشة متوترة :

ـ تصدق ماذا ؟

لوح بذراعه ، هاتفًا :

ـ هل تتوقع منى أن أصدق هذه القصة السخيفة ، عن الأشباح والأرواح ، التى تتصل بالبشر هاتفيًا ، وتسرق كنزًا من الهيروين الخام النقى ، يبلغ ثمنه عشرة ملايين دولار ؟ .. أتظننى غبيًا إلى هذا الحد ؟

صاح (حسن) :

ـ ولكن هذا ما حدث .

أطلق (حاتم) ضحكة عصبية ساخرة ، وقال :

ـ يا للسخافة ! .. كان ينبغى أن تبتكر قصة أكثر واقعية يا رجل .

هتف (حسن) :

ـ إننى لم أبتكر شيئا .. لقد اتصل بى شبح هذه الـ ..

انقضّ عليه (حاتم) فجأة ، وأمسكه من ياقة سترته ، فى عنف ، وهو يقول فى غضب صارم :

ـ اسمعنى جيدًا يا رجل .. لو أنك تتصور أن قصتك السخيفة هذه ستقنع أى طفل صغير ، فأنت مخطئ حتمًا .. وحتى لو صدقتك أنا ، فلن يصدقك الآخرون .

قال (حسن) فى خوف ودهشة :

ـ الآخرون ؟!

أجابه (حاتم) فى حدة :

ـ بالطبع يا رجل .. هل تصوّرت أننى صاحب هذه الملايين ؟! .. أظننت أننى أمتلك وحدى ما قيمته عشرة ملايين دولار من الهيروين النقى ؟! .. كلا يا رجل .. لست قويًا وثريًا إلى هذا الحد .. إننى مجرّد منفذ للعبة ، أما الممولون ، فهم مجموعة من علية القوم ، يمتلكون القوة والسطوة والمال ، ولن يروق لهم أبدًا أن تسرق منهم عشرة ملايين دولار ، بسبب قصة سخيفة كهذه .

هتف (حسن) فى ذعر :

ـ أسرق منهم ؟! ...ولكننى لست لصًا .. إننى ..

قاطعه (رأفت) ساخرًا :

ـ مجرّد محتال .. أليس كذلك ؟

صاح (حسن) :

ـ أقسم لكما أن هذا ما حدث .. إننى لم أسرق شيئًا ، ولم ..

هوى (حاتم) على فكه بلكمة قوية مباغتة ، جعلته يصرخ فى ألم ، قبل أن يهتف فى ذعر ودهشة :

ـ هل جننت ؟

جاوبه (حاتم) بلكمة أكثر عنفًا ، ألقته أرضًا ، وحطمت واحدة من أسنانه الأمامية ، فصرخ :

ـ ماذا تفعل بى ؟

لوّح (حاتم) بقبضته ، هاتفًا فى شراسة :

ـ سأظل ألكمك على هذا النحو طوال الليل ، حتى تعترف .

صاح (حسن) :

ـ أعترف بماذا ؟ .. إننى لم أفعل شيئًا .

أشار (حاتم) إلى (رأفت) فى غضب ، فتقدّم هذا الأخير نحو (حسن) ، وهو يبتسم ابتسامة جذلة ، وركله ركلة عنيفة فى معدته ، فصرخ (حسن) ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تفعل بى هذا .. إننى رئيس مجلس إدارة محترم .

ابتسم (حاتم) فى سخرية عصبية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟! .. كل ما أعرفه عنك هو أنك مجرّد شخص جشع حقير ، يخزّن المخدرات فى مكتبه ، مقابل نسبة من ثمنها ، ثم تمتلئ نفسه بعدها بالطمع ، فيسرقها كلها ، ويخترع قصة خيالية سخيفة ، ليبرّر بها هذا .

لوّح (حسن) بكفه ، قائلًا :

ـ غير صحيح .. أقسم لك إن هذا غير صحيح .

ركله (رأفت) ركلة أكثر قوة فى معدته ، فصرخ مرة ثانية ، وأمسك معدته بذراعيه ، وهو يضمّ ركبتيه إليها ، فقال (حاتم) فى حدة :

ـ هيا .. اعترف .

لهث (حسن) ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. سأعترف .

تنهّد (حاتم) قائلًا :

ـ هذا أفضل .

نهض (حسن) فى بطء ، واستند إلى حافة مكتبه ، وهو يلهث قائلًا :

ـ لقد سرقت المخدرات ، وأخفيتها فى مكان آخر .

تألقت عينا (رأفت) ، وهو يقول فى ظفر :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت واثقًا منه .

أما (حاتم) ، فسأله فى عصبية :

ـ وأين هى الآن ؟

ألقى (حسن) جسده على مقعده الوثير خلف مكتبه ، وهو يقول :

ـ فى خزانة خاصة .. لقد نقلتها إليها هذا الصباح ، وها هوذا مفتاح الخزانة .

قالها وهو يفتح درج مكتبه ، ويلتقط منه مسدسه ، ثم رفعه فجأة فى وجهى الرجلين ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ حذار أن يتحرَّك أحدكما ، أو أطلق النار عليه بلا تردد .

تراجع (حاتم) فى حركة حادة ، وانعقد حاجبا (رأفت) فى شدة ، فى حين واصل (حسن) فى عصبية ، وهو يصوب مسدسه إليهما ، ويلوح به غاضبًا :

ـ لقد أسأتما معاملتى ، ويمكننى أن أقتلكما لهذا السبب .

لوّح (حاتم) بذراعيه ، قائلًا :

ـ اهدأ يا (حسن) بك .. اهدأ .. إننا لم نفعل هذا بإرادتنا .. كنا مضطرين .. إنها أوامر الرؤساء .

صاح بهما :

ـ ولكننى كنت على حق .. لم أسرق هذه المخدرات اللعينة .. ألم تريا تلك الزهرة الماسية ، داخل الخزانة ؟

قال (حاتم) فى سرعة :

ـ لقد رأيناها بالطبع ، ونحن نصدق كل ما قلته .. كل كلمةً منه .

صرخ (حسن) :

ـ كاذب .. إنكما لم تصدقا حرفًا واحدا ، وكنتما على استعداد لقتلى بلا رحمة .. إنكما تستحقان أن أقتلكما ككلبين ضالين .

هتف (حاتم) :

ـ لا .. لا تفعل .. إنك رئيس مجلس إدارة محترم ، ولن تقتل شخصين هكذا ، بلا مبرر منطقى .

ثم اتجه إلى النافذة ، مستطردًا :

ـ أضف إلى هذا أنهم ينتظروننا فى أسفل ، وصوت الرصاصة سيجتذبهم إلى هنا ، و ..

تابعه (حسن) ببصره ، ولم ينتبه إلى خدعته ، حتى سمعه يهتف :

ـ هيا يا (رأفت) .

استدار (حسن) فى سرعة إلى (رأفت) ، ورآه ينقض عليه فى عنف ، وملامحه ترسم أبشع صور الوحشية والشراسة ، فصرخ به :

ـ ابتعد .

وبحركة غريزية ، ضغطت سبابته زناد المسدس ..

وانطلقت الرصاصة ..

وأصابت الهدف ..

واتسعت عينا (رأفت) فى ألم ودهشة ، ثم هوى جثة هامدة ، أمام مكتب (حسن) ، الذى صاح مذعورًا :

ـ لم أقصد هذا .. لم أقصد قتله .

ولكن (حاتم) انقضّ عليه ، وركل المسدس من يده فى عنف ، ثم لكمه فى فكه ، هاتفًا :

ـ لقد قتلته أيها الوغد .

سقط المسدس من يد (حسن) ، وهتف فى رعب :

ـ لم أقصد قتله .. أقسم لك .

لكمه (حاتم) مرة أخرى ، ثم جذبه من ياقته فى عنف ، ودفعه نحو النافذة ، صائحًا :

ـ إنك تستحق القتل .

صرخ (حسن) فى رعب ، عندما حاول (حاتم) دفعه من النافذة ،

وتشبث بحافتها فى استماته ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا تفعل بى هذا .

واصل (حاتم) الإمساك ، به مرة أخرى ، ولكن (حسن) دفعه بكل قوته ، صارخًا :

ـ قلت لك : ابتعد عنى .

كانت الدفعة قوية بالفعل ، حتى أن (حاتم) ارتطم بحافة النافذة ، وشعر بجسده يميل خارجها فى سرعة ، فصرخ :

ـ لا .. انقذنى .

وحاول التشبث بحافة النافذة ، إلا أن أصابعه أفلتتها ، فهوى من الطابق الرابع ، وهو يطلق صرخة رعب هائلة ، قبل أن يرتطم بالأرض فى عنف ، ويصمت تمامًا ..

وتراجع (حسن) فى هلع ..

لقد قتلهما .

قتل الرجلين ..

وفجأة انفتح باب مكتبه فى عنف ..

وانتفض جسده ..

انتفض مرتين .. مرة عندما انفتح الباب ، والمرة الثانية عندما رأى من فتحه ..

كانت قوة من رجال الشرطة ، مكونة من ضابط وثلاثة جنود ، اقتحموا المكان فى عنف ، وصوبوا أسلحتهم إليه ، فرفع ذراعيه هاتفًا :

ـ إننى لم أفعل شيئًا .

نقل الضابط بصره بين جثة (رأفت) والنافذة المفتوحة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ أتفعل شيئًا ؟! .. وما الذى كنت تزمع فعله أكثر من هذا .

هتف (حسن) فى ارتياع :

ـ كنت أدافع عن نفسى ، عندما هاجمانى .. إنهما لصان .. لصان حاولا سرقتى وقتلى .. ولقد عذبانى كثيرًا .. انظر إلى الكدمات فى وجهى وبطنى ، و ..

قاطعه الضابط :

ـ وماذا عن المخدرات ؟

شحب وجهه فى شدة ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ المخدرات التى تخفيها هنا ..

أشار إلى الخزانة السرية المفتوحة ، هاتفًا :

ـ لست أخفى شيئًا .. ها هى ذى الخزانة فارغة .

عقد الضابط حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الخزانة فى شك ، ثم اتجه إليها ، وفحصها فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ خزانة سرية ؟! .. أمر مثير للاهتمام بالفعل .. ماذا تفعل خزانة سرية فى مكتبك .

أجابه فى لهجة بدت أشبه بالضراعة :

ـ لم أكن أعلم عنها شيئًا .. إنها ملكهما ..

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكنها خالية كما ترى .. لا أثر فيها لأية مخدرات .

قال الضابط ، وهو يرمقه بنظرة صارمة :

ـ ومن قال أننا سنبحث عن المخدرات فيها ؟ .. إننا نعلم موقعها بالضبط ، فقد أبلغتنا سيدة مجهولة عنها ، ومن الواضح أنها كانت على حق .

شحب وجه (حسن) فى شدة . وهو يقول :

ـ سيدة مجهولة .

أجابه الضابط :

ـ نعم ! .. سيدة اتصلت بنا هاتفيًا ، وأبلغتنا بأمر صفقة المخدرات هذه ، وباحتمال نشوب صراع بينك وبين شريكيك بسببها ، وأخبرتنا بمكانها أيضًا .

ثم اتجه إلى الثلاجة الأنيقة ، فى ركن الحجرة ، وأزاحها بحركة حادة ، وأشار إلى حقيبة تستقر خلفها ، وهو يقول :

ـ ومن الواضح أنها كانت على حق .

حدق (حسن) فى الحقيبة ذاهلا ، ثم انهار على أقرب المقاعد إليه ، وقد أدرك أنه خسر ..

خسر اللعبة كلها .

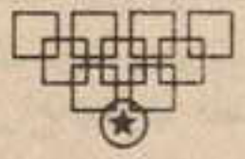

٦ ـ السقوط ..

لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ..

لقد انهار (حسن) بك تمامًا ، وأدلى باعتراف تفصيلى ، وهو يرتجف مع كل حرف منه ، وكرّره فى أثناء محاكمته ، وهو يبكى ، ويطالب القاضى بتوقيع أقصى عقوبة عليه ، لإنقاذه من العذاب الذى يشعر به ..

ولم يمض شهر واحد ، حتى صدر الحكم بسجن (حسن) بك لمدة خمسة وعشرين عامًا ، مع الأشغال الشاقة ..

وعندما حان أوّل موعد للزيارة ، فوجئ (حسن) بنداء اسمه ، ضمن أسماء المسجونين ، الذين سينتقلون إلى عنبر الزيارات ..

وسأل (حسن) نفسه ألف مرة ، وهو يسير وراء حارسه ، نحو عنبر الزيارات ، عن زائره ، وراح يضرب أخماسًا فى أسداس ، حتى بلغ العنبر ..

وهناك هوى قلبه بين قدميه ، واتسعت عيناه فى رعب هائل ، وتخاذلت قدماه ، حتى كاد يسقط مغشيًا عليه ..

كانت هى زائرته ..

هى بابتسامتها الساخرة ، وزهرتها الماسية ، التى تزيّن صدرها ..

وفى ذهول ورعب ، هتف :

ـ أنت ؟! .

أجابته فى برود :

ـ نعم .. أنا .

هتف ذاهلًا :

ـ ولكنهم أخبرونى بوجودك ، وهذا يعنى أنهم يرونك ، والأشباح لا ..

قاطعته ساخرة :

ـ من قال إننى شبح ؟

قال مرتعدًا :

ـ لقد رأيت جثتك بنفسى ، و ..

مالت نحو الأسلاك ، التى تفصلها عنه ، وهى تسأله :

ـ من تظننى ؟

أجاب مضطربا :

ـ أ ..أ .. أنت (هدى) .. سكرتيرتى السابقة .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وطوّحت رأسها للوراء ، قبل أن تواجهه بنظرة مباشرة ، قائلة فى مزيج من السخرية والشماتة :

ـ كلا .. لست (هدى) .

سقط فكه السفلى فى ذهول ، وهو يردّد :

ـ لست (هدى) ؟!

اجابته فى برود :

ـ نعم .. لست (هدى) .. أنا شقيقتها التوءم (هالة) .. صحيح أننا لم نلتق من قبل ، ولكننى واثقة من أنها أوّل مرة تعرف فيها هذا ، فلم تكن (هدى) تتحدّث عنى كثيرًا ، وإن كنا نتحدّث هاتفيًا باستمرار ، فأنا أعمل كصائغة مجوهرات ، وأحيا منذ خمس سنوات فى (باريس) .

ظلّ يحدّق فيها ذاهلًا ، وهى تتابع :

ـ وفى آخر مرة تحدّثت فيها إلى (هدى) ، فى مكتبها بالشركة ، أخبرتنى بشكوكها ، وبأمر المكتبة ، وما فعلتموه بها ، ثم اتصل بى خالى ، فى اليوم التالى مباشرة ، وأبلغنى بانتحارها .

ومال حاجباها فى غضب ، وهى تستطرد :

ـ أدركت على الفور أنها لم تنتحر ، بل قُتلت بسبب شكوكها هذه ، ولقد حاولت اللحاق بجنازتها ، ولكننى لم أستطع ، بسبب زحام السفر ، فى هذا الموسم ، فوصلت إلى (القاهرة) فى اليوم التالى ، وبكيت طويلًا أمام قبرها .

وتنهدت فى عمق ، قبل أن تضيف :

ـ ثم قرّرت الانتقام .

لم ينبس ببنت شفة ، وهو يستمع إليها تكمل :

ـ كان يمكننى إبلاغ الشرطة مباشرة ، ولكننى خشيت أمرين ، أولهما أن تكون قد أفرغت الخزانة السرية من محتوياتها ، والثانى أن يفلت شريكاك ، فلم أكن أعرف سواك ، وسوى أن أحدهما يُدعى (حاتم) ، كما أخبرتنى (هدى) .

شعر بجسده كله يرتجف ، وهى تقول :

ـ وعندئذ كان لابد لى من وضع خطة مناسبة ، فتسللت إلى منزلك ، ولا تسألنى كيف نجحت فى دخول شقتك ، ولا كيف عرفت عنوانها ، فالحياة فى (باريس) .. تمنح المرء بعض الخبرات والمهارات ، خاصة عندما يمتلك أصابع ماهرة خبيرة ، كأصابع صانعة مجوهرات .. المهم أننى دخلت شقتك ، وسرقت مسدسك ، ثم وضعت زهرة ماسية على فراشك ، وأناواثقة من أن هذا سيثير أعصابك ، ويجعلك شديد التوتر ، وخاصة بعد أن تعمّدت السير أمامك ، عند وصولك بالسيارة ، لتتصوّر أننى شبح (هدى) .

صمتت لحظة ، وهو يحدّق فى وجهها ، قبل أن تقول فى سخرية :

ـ وبالمناسبة .. لم تكن سرقة المسدس ضمن خطتى ، ولكننى عثرت عليه ، فألهمنى هذا باستغلاله .

ثم اعتدلت مستطردة :

ـ المهم أننى تسللت إلى مكتبك فجر اليوم التالى ، من الباب الخلفى ،

الذى يحتاج إلى حارس خاص ، ووضعت المسدس على مكتبك ، ثم بحثت عن الخزانة السرية ، وفتحتها بنفس المهارة ، وأخذت منها المخدّر ، ووضعته فى حقيبة خلف الثلاجة .. وانتظرت .

تنهدت مرة أخرى ، وتابعت :

ـ كنت أجهل شريكيك ، كما سبق أن أخبرتك ، ولكننى اعتمدت على تحطيم أعصابك تدريجيًا ، بحيث تصل إلى الذروة ، عندما أتصل بك ، وأخبرك أننى سرقت المخدّر .. ولقد حدث ما توقعته تمامًا ، فأسرعت أنت تتصل بشريكيك ، اللذين حضرا فى ذعر وغضب ، ودارت بينك وبينهما معركة ، استخدمت فيها مسدسك ، كما قدّرت أنا تمامًا ، فقتلت أحدهما به ، ثم تجاوزت أحلامى ، وقتلت الثانى أيضًا ..

فرقعت سبّابتها وإبهامها ، قبل أن تضيف :

ـ وهنا وصل رجال الشرطة ، الذين اتصلت بهم ، لتقع أنت فى قبضة العدالة .

وابتسمت ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ ما رأيك فى خطتى ؟!

ردّد وهو يكاد يبكى أمامها :

ـ مستحيل !

قالت وهى تحلّ هندامها ، استعدادًا للانصراف :

ـ لا يوجد مستحيل ! .. إنه قصاص عادل كما ترى ، ولكنه كلّفنى ثمن زهرتين ماسيتين ، ومن حسن الحظ أننى التى صنعت الزهرة الماسية الأولى ، التى اشتهرت بها (هدى) ، ولم يكن من العسير أن أصنع زهرتين أخريين .

ثم غمزت بعينها ، مستطردة :

ـ وأصدقك القول ، كانتا من الماس الصناعى .

وعندما تنهّدت للمرة الثالثة ، كانت تنهيدتها تحمل الكثير من الارتياح ، الذى بدا واضحًا فى صوتها ، وهى تقول :

ـ معذرة يا (حسن) بك .. سأضطر للانصراف ، ولست أظننا سنلتقى مرة أخرى ، فعندما تخرج من هنا ، تكون قد بلغت السابعة والسبعين من عمرك ، ولا يروق لى كثيرًا الرجال ، فى مثل هذا العمر .

تعلّقت عيناه بدبوسها الماسى ، وهى تلوّح بيدها قائلة فى سخرية :

ـ الوداع يا (حسن) بك .. تمتع بايامك هنا ، وحاول أن تتذكّر دائمًا الزهرة التى حطمتك ، وألقت بك خلف القضبان .

وانصرفت فى ثقة واعتداد ، وهو يتابعها ببصره فى انهيار كامل ..

نعم .. لن ينسى أبدًا ..

لن ينسى الزهرة التى هزمته ..

الزهرة الماسية .

تمت بحمد الله

الأوتوبيس (قصة قصيرة)

(الأوتوبيس) لا يقف عند قرية (ميت شواشى) ..

قد تبدو لك هذه العبارة عادية ، أو لا تثير انتباهك قط ، فالمشكلة بالنسبة لك أمر تافه ، لن يشغل تفكيرك لأكثر من الوقت اللازم لقراءة العبارة ، ولكنها بالنسبة لسكان (ميت شواشى) كانت مشكلة عويصة ، ما بعدها مشكلة ..

و (ميت شواشى) قرية مظلومة ، سواء فى الجغرافيا أو التاريخ ، فلم يحدث أبدًا أن أنجبت أحد المشاهير ، أو رجال السياسة ، أو الفنانين ، وليس لها حتى عضو من أبنائها فى مجلس الشعب ..

وطوال عمر (ميت شواشى) لم تحدث فيها أية مواقع حربية ، أو تاريخية ، أو حتى يقع فى حدودها حادث إجرامى خطير ، يستحق التحدّث عنها ..

ولهذا عاشت (ميت شواشى) دائما مجهولة منسية ، لا يعرفها سوى سكانها ، والقرى المحيطة بهم ، حتى أن هيئة المساحة نسيت ذكر اسمها فى خرائطها ، فلم يعد حتى المسئولون يعلمون بوجودها ..

ونتيجة لهذا الوضع العجيب ، لم يتوقف (الأوتوبيس) أبدًا عند (ميت شواشى) ..

كانت له محطة فى القرية التى قبلها ، وأخرى أمام القرية التى تليها ، دون أن تكون له محطة واحدة أمامها ..

ومنذ مولدهم ، يتطلع أبناء (ميت شواشى) أن عليهم السير إلى أقرب قرية ، لانتظار (الأوتوبيس) ، حتى يمكنهم الذهاب لعملهم فى المركز ، أو لمدارسهم فى المدن ..

وذات يوم ثار سكان (ميت شواشى) على هذا الأمر ، وقرروا إعلان غضبهم للمسئولين ، لعلهم يدركون أنهم قرية ، مثل باقى القرى ، ويحتاجون إلى محطة (أوتوبيس) ..

ولأن معظم سكان (ميت شواشى) من محدودى الدخل والتعليم ، فقد لجئوا إلى الأستاذ (عوض) ، الحاصل على دبلوم الصنائع ، وابن شيخ الخفراء الحاج (أحمد) ، وعرضوا عليه مشكلتهم ، وطلبوا منه أن يتحدث باسمهم إلى المسئولين ، ليقنعوا (الأوتوبيس) بالتوقف عند (ميت شواشى) ..

وشعر الأستاذ (عوض) بالمسئولية الملقاة على عاتقه ، فكتب شكوى ضخمة ، وحملها إلى القرية المجاورة ، حيث استقل (الأوتوبيس) إلى المدينة ، ليعرضها على المسئولين هناك ..

واستقبل المسئول الأستاذ (عوض) فى حرارة ، واستمع إليه فى اهتمام ، ثم وعده بحل المشكلة ، وصافحه مودعًا ..

وعاد الأستاذ (عوض) إلى قريته ، والأمل يملأ نفسه ، ويشع من وجهه وعينيه ، وأبلغ الجميع أن المشكلة فى طريقها إلى الحل ، فى أيام معدودات ..

واستبشر السكان خيرًا ، وانتظروا مرور هذه الأيام المعدودات فى صبر ، ولكن الأيام مرت ، وأصبحت أسابيع ، وشهورًا ، دون أن يتوقف

(الأوتوبيس) أمام (ميت شواشى) ، أو يبدو حتى أنه سيفعل ..

وعاد السكان إلى الأستاذ (عوض) ، وأعلنوا تذمرهم وغضبهم ، فما كان منه إلا أن كتب شكوى جديدة ، وعاد بها إلى المسئول ..

وفى حرارة أكبر استقبله المسئول ، وأكد له أن المشكلة فى طريقها إلى الحل ، وأن (الأوتوبيس) سيتوقف حتمًا عند (ميت شواشى) ، ولكنها مسألة روتين ، وبيروقراطية ، وخلافهما ..

ونقل الأستاذ (عوض) هذا الحديث للسكان ، الذين قرروا الانتظار فى صبر مرة أخرى ، لأيام وأسابيع وشهور دون جدوى ..

وهنا ثارت ثائرة الأستاذ (عوض) ، وأعلن لسكان القرية أن (الأوتوبيس) سيتوقف عند (ميت شواشى) ، ولو على جثته ..

واختفى الأستاذ (عوض) يومين فى منزله ، ثم خرج إلى أهل القرية منتشيًا ظافرًا ، وهو يحمل لافتة مستديرة ، فوق عامود طويل ، كتب عليها بخط أنيق كلمة (موقف أوتوبيس) ..

وفى احتفال شعبى صغير ، غرس السكان اللافتة عند مدخل القرية ، ووقفوا إلى جوارها ينتظرون (الأوتوبيس) ..

ولكن (الأوتوبيس) مضى ، دون أن يلتفت إلى اللافتة ، متجاهلًا إياها تمامًا ، بحجة أن خط السير الرسمى ، الذى سلموه إياه فى محطة البداية ، لا يتضمن التوقف عند هذه القرية ، التى يجهل حتى اسمها ..

وشعر الأستاذ (عوض) بهزة قوية فى كرامته ، وبداله الأمر وكأنه طعنة شخصية له ، وإهانة ما بعدها إهانة ..

وفى تلك الليلة لم يغمض له جفن ..

كان دمه يغلى فى عروقه ، ويتصاعد إلى مخه ، فيشعر بغليانه ، ويشم رائحة أبخرته المحترقة ..

صحيح أن أحدًا لم يوجه إليه اللوم ، ولكن قضية (الأوتوبيس)

أصبحت قضيته الشخصية وأصبح عليه أن يوقفه ..

ولو على جثته ..

وفي ساعات الفجر الأولى ، حمل (عوض) بندقية والده ، وخرج ينتظر أوّل (أوتوبيس) ..

كان الجو رطبًا ، والضباب ينتشر فى كثافة ، ولكنه أصرّ على التصدى لـ (الأوتوبيس) ، وإجباره على التوقف عند (ميت شواشى) بالقوة ..

وسمع صوت (الأوتوبيس) ، مقبلًا وسط الضباب الكثيف ، فرفع بندقيته ، وهو يحاول اختراق الضباب ببصره ..

ثم ظهر (الأوتوبيس) فجأة ..

ظهر على بعد متر واحد منه ..

وقبل أن يفعل الأستاذ (عوض) شيئًا ، ارتطم به (الأوتوبيس) ، وأسقطه تحت عجلاته ، وعبر فوقه ..

وفى (الأوتوبيس) سأل السائق زميله الكمسرى :

ـ يبدو أننا قد ارتطمنا بشىء .. أليس كذلك ؟

كان الضباب كثيفًا ، والرؤية شبه منعدمة ، فقال الكمسرى فى لامبالاة :

ـ لا تقلق .. إنه أحد الكلاب الضالة حتمًا .

هزّ السائق كتفيه ، وهو يواصل طريقه ، فوق جثة الأستاذ (عوض) ..

ودون أن يتوقف فى (ميت شولشى) .

﴿ تمت بحمد الله ﴾

ويمضى الزمن

(دراسة)

متى بدأ الزمن ؟! ..

على الرغم مما يبدو عليه هذا السؤال من بساطة ، إلا أن جوابه ليس بسيطًا على الإطلاق ، والدليل على هذا أنك نفسك لن تجد الجواب فى أعماقك وعقلك ، بل ستجد أنك ستطرح على نفسك عدة أسئلة أخرى ..

فهل بدأ الزمن مع بدء الخليقة ؟

أم قبلها ؟

أم أن الزمن ـ كما قال (ألبرت أينشتين) ـ لا يبدأ ولا ينتهى ، وأنه يدور فى حلقة دائمة ، بلا بداية أو نهاية ؟ ..

الواقع أن أحدًا لا يعلم متى بدأ الزمن ، ولا متى تم تسجيل أوّل تاريخ فعلى ، ولكن الأمر المؤكد هو أن المصريين كانوا أوّل من وضع تاريخًا رسميًا ، اعتمدوه فى حضارتهم وحياتهم ..

كان هذا مع تطور الحضارة المصرية القديمة ، وظهور عدد من علماء

الفلك ، الذين راحوا يدرسون حركة النجم المعروف باسم (شعرى اليمانية) ، وهو ألمع نجم فى السماء ، ويوجد فى كوكبة الجبار ، فقد كان ظهوره بشيرًا بالفيضان ، ورمزًا لبدء موسم الحر ، عند اليونانيين والرومان ، ومع دراستهم هذه ، حدّد الفلكيون المصريون القدامى عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، كأوّل تاريخ رسمى معروف ، واعتبروا أن أوّل ظهور للنجم (شعرى اليمانية) فى الأفق ، قبل شروق الشمس ، هو بداية العام ..

ثم بدأ الفلكيون فى حساب أيام هذا العام ، فوجدوا أنها ٣٦٥ يومًا ، هى أيام السنة التى نعرفها ، والتى حدّدها علماء العصر الحديث بصورة أدق (٢٤٢٢ و ٣٦٥ يومًا) ..

أما بالنسبة للشهر ، فقد استخدم البابليون القمر لحساب الشهور ، واعتمدوا تمامًا على هذه الشهور القمرية ، ولكنهم ارتبكوا بسبب عدم انتظامها ، فأصدر الملك (حامورابى) قانونًا عجيبًا ، يضيف فترات غير منتظمة إلى العام ، لتنتظم بداياته ، مع اختلاف هذه الفترات من عام إلى عام ، ثم عاد وأضاف شهرًا كبيسًا ، يلغى الفروق كل عدة أعوام ..

أما المصريون ، فقد قسموا السنة إلى اثنى عشر شهرًا ، قبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف سنة تقريبًا ، وجعلوا عدد أيام كل شهر هى ثلاثين يومًا ، أما الأيام الخمسة المتبقية ، فاتخذوا منها عيدًا يحتفلون به ، ولا يضيفونه إلى عمر الإنسان ..

ثم جاء (يوليوس قيصر) ، ودرس التقويمين ، البابلى والمصرى ، واجتمع مع رئيس الفلكيين بقصره ، ثم أصدر تقويمه ، الذى قسّم فيه العام إلى اثنى عشر شهرًا ، يحوى بعضها ثلاثين يومًا ، ويحوى البعض الآخر واحدًا وثلاثين يومًا ، ثم استثنى شهر (فبراير) ، فجعل أيامه أقصر ، بحيث يضيف إليه يومًا إضافيًا ، كل أربع سنوات ، لحل مشكلة ربع اليوم ، الذى كشف الفلكيون وجوده ، وأضافوه إلى أيام السنة (٢٥و٣٦٥ يومًا) ..

وهكذا أصبح هناك عام ، وشهر ، و ..

وبقى الأسبوع ..

وفكرة الأسبوع هذه ابتكرها اليهود ، ففى قصة الخلق فى التوراة ، أن العالم خلق فى ستة أيام ، ومن هنا استخدم اليهود هذه الأيام الستة ، واتخذوا السبت يوما سابقا للراحة ، وقسموا السنة إلى اثنين وخمسين أسبوعًا ، ثم انتشروا فى العالم ، ورحلوا من مكان إلى مكان ، وحافظوا على دورتهم السباعية فى كل مكان حطوا رحالهم فيه ، حتى انتشر معهم الأمر ، وأصبح هناك ما يعرف بالأسبوع ، قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ..

وتقسيم الأيام أسهل ألف مرة من تقسيم السنين والشهور والأسابيع ، فاليوم هو أوضح وحدة يشعر بها البشر ؛ إذ أنه يبدأ مع شروق الشمس ، ويمتدّ حتى شروقها التالى ، ولقد شعرت كل الشعوب والحضارات بهذه الوحدة ، وأطلقوا عليها اسم اليوم ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، فى تقسيم هذه الوحدة إلى وحدات أصغر ..

ففى البداية قسم الناس اليوم إلى أبسط نصفين ..

ليل ونهار .

ثم جاء البابليون ، وقسموا اليوم إلى اثنتى عشرة فترة زمنية متساوية ، أطلقوا على كل منها اسم الساعة ، وقسموا هذه الساعة البابلية إلى ثلاثين دقيقة ، وهذا يعنى أن ساعتهم كانت تساوى ساعتين من وقتنا هذا ، ودقيقتهم تساوى أربع دقائق ..

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم قد انمحى ، ولم يلق انتشارًا أو استمرارًا ، إلا أننا اليوم ، وبعد تقسيم اليوم إلى أربع وعشرين ساعة ، مازلنا نستخدم النظام البابلى ، فما تزال كل الساعات تحمل اثنى عشر رقمًا فحسب ..

أما المصريون ، فقد اخترعوا الساعات الشمسية ، والمزولة ، واستخدموهما فى تقسيم اليوم إلى الأربع والعشرين ساعة ، التى نعرفها

مفهومًا جديدًا ومثيرًا للزمن ..

ولأوّل مرة ، بدأ العلماء ينظرون إلى الزمن بمفهوم جديد ، ويقتربون منه فى حذر ، بعد أن كان بالنسبة إليهم أمرًا عاديًا بسيطًا ..

وفى عام ١٩١٥م ، نشر (أينشتين) نظرية النسبية العامة ، التى توسّع فيها فى استخدام الزمن ، وربطه بالجاذبية والمكان وغيرها ..

وتفجّر خيال العلماء ..

وخيال الأدباء ..

وفى ثورة زمنية عجيبة ، نشر (ﻫ . ج . ويلز) ، كاتب الخيال العلمى الشهير روايته (آلة الزمن) ، التى يتحدث فيها عن مخترع شاب ، اخترع آلة نقلته إلى المستقبل البعيد ، فبلغ حقبة انهارت فيها الحضارة ، وانقسم فيها البشر إلى قسمين ، قسم يعمل وينتج ، وآخر يعبث ويلهو ..

ومنذ نشرت رواية (ويلز) ، تضاعفت لهفة الناس وحيرتهم من الزمن وألاعيبه وغموضه ..

وصدرت عشرات الروايات ، التى تناقش الفكرة نفسها ..

فكرة السفر عبر الزمن ..

ومع أبحاثهم المستمرة ، توصّل العلماء إلى نتائج مدهشة ، ونظريات مذهله ، تتعلّق كلها بالزمن ، وكشفوا فى الفضاء فجوات غامضة ، أطلقوا عليها اسم (الكوازرات) ، يتلاشى فيها الزمن ، أو ينخفض ، وفجوات أخرى يتسارع فيها الزمن ..

وعلى الرغم من مرور ما يقرب من أربعين عامًا ، على وفاة (أينشتين) ، إلا أن العلماء ما زالوا يتوصلون يوميًا إلى ما يثبت صحة نظرياته حول الزمن ، وحول علاقته النسبية بالمكان ، والحركة ، والتطوّر ..

الآن ، وقسموا كل ساعة إلى ستين دقيقة ، وكل دقيقة إلى ستين ثانية ..

وهكذا كان الزمن ..

من سنة ، إلى شهر ، إلى أسبوع ، إلى يوم ، فساعة ، فدقيقة ، فثانية ..

وعلى الرغم من كل هذا ، بقى الوقت سلعة ثمينة ، لا يجيد معرفتها والتعامل معها سوى الخبراء والمختصين ، الذين يمكنهم استخدام الساعات الشمسية ، والمزاول ، والساعات الرملية ، والمائية ، وغيرها ..

ثم مرّ الزمن ، وجاء عام ١٥٠٠م ..

وفى هذا العام ، ظهرت إلى الوجود أوّل ساعة ميكانيكية ، ذات عقارب ، من ذلك النوع الذى نعرفه الآن ، وجاء ظهورها فى (نورمبرج) ، ليبهر العامة ، ويمنحهم ـ لأوّل مرة ـ القدرة على معرفة الوقت ببساطة ..

وفى عام ١٦٥٦م ، استخدم (كريستيان هايكنز) ، العالم والفيزيائى الدانمركى ، بندول (جاليليو) ، فى تطوير الساعات الميكانيكية وتبسيطها ، وقد ساعد هذا على سهولة انتاج وتصنيع الساعات ، وانتشارها بين العامة ..

ومع تطوّر الزمن ، تطوّرت الساعات أيضًا ، فظهرت الساعة الكهربية فى القرن التاسع عشر ، ثم الساعات الإليكترونية فى القرن العشرين ، وهكذا ..

إلى هنا ولم تنته قصة الزمن بعد ، ففى عام ١٩٠٥ ، نشر (اينشتين) نظرية النسبية الخاصة ، التى اعتبر فيها أن الزمن هو البعد الرابع للمادة ، فقد وجد أن الأبعاد الثلاثة المعروفة ، وهى الطول والعرض والارتفاع ، لا تكفى وحدها لتفسير كل الظواهر الكونية وقوانين الطبيعة ، ولا لبحث الشواهد المعروفة ، لذا فقد أضاف الزمن إلى هذه الأبعاد الثلاثة ، وتوصّل إلى معادلات وقوانين جديدة ، قلبت علم الفيزياء رأسًا على عقب ، وأعطت

وفى كل يوم يأتى العلم بجديد حول الزمن ، الذى لا تنضب مفاجآته أبدا . والذى يجرى بنا ، أو نجرى به ، أو يدور حولنا ، أو ندور حوله ..

لم تعد هناك علاقة واحدة لوصف ذلك الزمن . بل أصبحت هناك عشرات العلاقات الرياضية ، التى ترتبط به ، ويرتبط بها ..

علاقات تجعلنا نمضى أكثر وأكثر فى دراسة القوانين والطبيعة ..

ويمضى بنا العمر ..

ويمضى الزمن .

د . نبيل فاروق

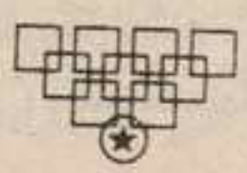

صاحبة المجوهرات

(خواطر)

كلانا كان يعرف الآخر جيدا ، قبل حتى أن نلتقى ..

كل منا كوّن صورة للآخر ، عبر الورق والأسطر والكلمات ..

ثم التقينا ..

لن أتحدث هنا عن تطابق صور الخيال مع الواقع ، ولا عن لحظة اللقاء ..

المهم أننا التقينا ..

وسقطت كل الحواجز دفعة واحدة ..

بعد أكثر من ثلاثة أعوام ، وقف كل منا وجها لوجه أمام الآخر ..

وبسرعة ذهبت الرهبة ، وتلاشى القلق ..

وامتد بيننا الحوار ..

فى البداية أخبرتنى أنها مصممة مجوهرات ، وتحدثت معى طويلا عن خبرتها فى هذا المجال ، ومهارتها فى وضع أفضل التصميمات وأجملها ..

وأدركت أنها على حق ..

ولكنها ليست مصمّمة مجوهرات فحسب ..

إنها صاحبة مجوهرات أيضًا ..

أتعلمون ما الفارق ؟ ..

الفارق هو أن مصممة المجوهرات ينتهى عملها عند وضع الرسوم ، وقد لا ترى أبدًا ما صممته ، وقد تحوّل إلى مجوهرات حقيقية ، تزين الآذان والأعناق والصدور والمعاصم والأصابع ..

أما صاحبة المجوهرات ، فهى تمتلك كل هذا ..

تمتلكه فى خزائنها ..

أو فى أعماقها ..

ومع حديثنا خيّل إلىّ أننى أرى تلك المجوهرات ، الكامنة فى أعماقها ..

كانت لها بشرة نحاسية ، وأسنان لؤلؤية ، وحماس ذهبى لذيذ ..

ولكن ليس هذا ما أقصده ..

لقد تسلل تفكيرى إلى ما هو أعمق من هذا ..

إلى نفسها ..

صحيح أنها كانت شديدة المرح والحماس ، وهى تعرض علينا قطع من تصميماتها وإنتاجها ، ولكن شيئًا ما فى حديثها ، أو حتى فى ابتسامتها ، كان يحمل لمسة من الحزن ..

حزن خفى عميق ، كمنجم قديم مخيف ، يرقد فى أعماقه طن من الزمرّد الأخضر ..

لقد رأيت بعقلى ذلك الحزن ..

رأيته كخيط من الدموع الماسية ، يتألق وينهمر من قلب فضى كمير ، ينقبض ويرتخى بلا حماس ، ويبحث عمّن يلتقط دموعه الماسية ، ويصقلها ، ويصفّها فوقه فى أناقة وجمال ..

ولم أدر أبدًا سر هذا الحزن الخفى ..

ولا حتى كيف لمحته ..

وعلى الرغم من أن حديثنا قد استغرق ساعة كاملة ، إلا أننى لم أنجح فى الغوص إلى أعماقها ، وسبر أغوارها ..

ثم فجأة ، بدأت هى تتحدّث عن نفسها :

عن طفولتها وشبابها ..

ومع أوّل كلمات حديثها ، ذاب ذلك القناع المرح الزائف عن وجهها ، وأطل حزنها من تحته واضحًا ، جليًا ..

وأدركت أننى كنت على حق ..

إنها بالفعل تحيا وسط حزن عميق ..

حزن تفوح رائحته من مرحها وحماسها ..

وحتى من أناقتها وبساطتها ..

وأصغيت بانتباه ، محاولًا فهم مشكلتها بالضبط ..

ولكنها لم تستطرد ..

انتبهت فجأة إلى أنها تفصح عن أعماقها ، فتوقفت عن الحديث ، ونهضت لتنصرف ..

ولم أحاول منعها ..

لم يكن من اللائق أن أفعل ..

تركتها تنصرف ، وأنا أفكّر فى مشكلتها ..

وانصرفت ..

ولساعة كاملة بعد انصرافها ، ظلّ عقلى معلقًا بحديثها ..

إنها تحمل فى أعماقها شيئًا ما ..

شيئًا يدعوك إلى الاهتمام والتفكير ، والبحث عن سر صاحبته .

صاحبة هذا الشىء ..

وصاحبة المجوهرات .

المجانين .. (قصة قصيرة)

احتبست أنفاس ركّاب الحافلة ، وأطلّ مزيج من الخوف والقلق من عيونهم ، عندما أطلق السائق لحافلته العنان ، وتجاوز بها السرعة المقررّة قانونيًا ، وانطلق بها فوق الطريق كطائر طليق عنيد ، وارتجفت الكلمات على شفتى واحدة من راكبات الحافلة ، وهى تقول فى خفوت ، وكأنها تتحدّث إلى نفسها :

ـ إنه مجنون .. مجنون حتمًا هذا السائق .. كيف ينطلق بهذه السرعة الجنونية ، فى طقس كهذا ؟!

هزّ الرجل الوقور ، الجالس إلى جوارها ، رأسه ، ونفث دخان غليونه فى هدوء ، قبل أن يقول فى رصانة :

ـ إنه يتحدّى نفسه .

التفتت إليه فى توتر ، وشجّعها مظهره الأنيق الرزين على أن تقول :

ـ ولماذا يتحدّى نفسه ؟ .. إنه مجنون حتمًا !

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ كلنا مجانين يا سيّدتى ، لو أن تجاوز المألوف يعتبر جنونًا .. كل ما فى الأمر هو أن هذا السائق يمرّ فى حياته بإحباطات عديدة ، وهزائم

اجتماعية لا حدود لها ، وهذا يورثه شعورًا بالعجز ، يحاول تعويضه وهو يقود هذه الحافلة .

سألته فى دهشة :

ـ كيف ؟!

أشار إلى السائق ، وقال :

ـ انظرى إليه .. هل ترين تلك الابتسامة الظافرة على شفتيه ؟ .. أتلمحين تألّق عينيه الواضح ؟ .. إنه يشعر بقوته ، عندما يقود هذه الحافلة ، ويتجاوز بها السرعة المقررة .. لقد هزم القانون والسلطة والمجتمع ، من وجهة نظره .. وهذا يريح أعصابه المتوترة ، ويمحو عنها الشعور بالإحباط والهزيمة .

قالت فى حدة :

ـ ولكنه بهذا يعرّض أرواحنا للخطر .. وهذا جنون فى حد ذاته .

هزّ الرجل رأسه فى وقار ، ونفث دخان غليونه ، وهو يقول :

ـ كلنا مجانين يا سيّدتى .. كلنا مجانين .

أطلقت شهقة قوية ، جعلته يلتفت إليها ، ويسألها فى اهتمام :

ـ هل ضايقك قولى هذا يا سيّدتى ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كلّا ، ولكن هذا المجنون أثار ذعرى .

سألها :

ـ السائق ؟!

عادت تهزّ رأسها نفيًا ، وتجيب :

ـ بل قائد هذه السيارة .

قالتها وهى تشير إلى سيارة رياضية ، تنطلق بسرعة جنونية بالفعل ،

وتكاد تتجاوز الحافلة ، ولكن جارها تطلّع إلى السيارة فى هدوء ، وقال :

ـ نفس المشكلة .. محاولة للتغلّب على إحباطات اجتماعية أو نفسية .

هتفت مستنكرة :

ـ أية إحباطات ؟! .. إنه لا يسافر بالحافلة مثلنا ، فسيارته وحدها تساوى دخل أسرتى كلها فى نصف قرن .

ابتسم وقال :

ـ ومن قال أن الأثرياء لا يعانون إحباطات اجتماعية أو أسرية ؟ .. ربما كان الابن الأوسط للأسرة ، لا أحد يشعر به ، أو يوليه الاهتمام الكافى ، أو ..

أوقفته شهقة أخرى منها ، فسألها :

ـ ماذا حدث هذه المرة ؟

انكمشت فى مقعدها ، وهى تقول :

ـ ألم تنتبه إلى ما حدث ؟! .. لقد انقلبت سحنة السائق فى غضب ، عندما تجاوزته تلك السيارة الرياضية ، وزاد من سرعته لينطلق خلفها .. إنه يتسابق معها على الطريق الصحراوى .. ألم أقل لك إنه مجنون ؟

رفع رأسه ليراقب ما أبلغته به ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

ـ هذا أمر طبيعى ، فقائد السيارة ينتمى إلى الطبقة الثرية ، التى تثير فى المعتاد شعور الإحباط ، فى أعماق السائق ، والطبقة التى ينتمى إليها ، وظهوره الآن يفسد صورة التفوق ، التى غرسها السائق فى أعماق نفسه ، أما تجاوز سيارته القوية للحافلة ، على الرغم من سرعتها ، فيحطّم شعور السائق بالظفر تمامًا ، ويعيد إليه كل مشاعر الإحباط والهزيمة ؛ لذا فسينطلق بأقصى سرعة للحاق بالشاب ، وتجاوزه ، حتى يستعيد شعوره بالظفر .

صاحت مذعورة :

ـ ولكنه يتجاوز حدوده بشدة هذه المرة .. ليس من حقه إصابتنا بكل هذا الرعب .. إنه سيقتلنا هكذا .

قال الرجل فى هدوء :

ـ هذا لا يعنيه الآن ، ولا يقلق باله قط ، فالفكرة الوحيدة التى تسيطر عليه الآن ، هى الانتصار على كل ما يمثله قائد السيارة ، من تفوق مادى واجتماعى .

حبست أنفاسها فى ذعر ، مثل باقى الركّاب ، عندما تزايدت سرعة الحافلة إلى حد جنونى ، حتى تجاوزت السيارة ، التى اضطر قائدها إلى إفساح الطريق لها ، فتألقت عينا السائق فى ظفر ، وأطلق ضحكة ظافرة عالية ، جعلت الراكبة تقول :

ـ أرأيت ! .. إنه مجنون حتمًا .. لا يُطلق هذه الضحكة سوى مجنون .

هزّ رأسه نفيًا وقال :

ـ فكرتك عن المجانين عجيبة جدًا يا سيّدتى .. إنهم لا يُطلقون مثل هذه الضحكات إلا فى الأفلام السينمائية فحسب .. كل ما فى الأمر هو أن هذا السائق يشعر بسعادة غامرة ، وبأنه انتصر على كل إحباطاته وهزائمه الاجتماعية ، فى صورة هذه السيارة الأرستقراطية ، وقائدها الثرى .. لو تعمّقت فى نفسه الآن ، لوجدت أنه أكثر سعادة من (نابليون بونابرت) نفسه ، فى أوج مجده .

هتفت فى ذعر :

ـ ولكن ما الذى يفعله الآن ؟

التقى حاجباه فى شدة ، عندما شاهد سائق الحافلة ينحرف بها فى عنف ، نحو السيارة الأنيقة ، محاولًا دفعها خارج الطريق ، وغمغم :

ـ إنه يتجاوز حدوده بالفعل .

حاول قائد السيارة تفادى تلك الانقضاضة المباغتة ، ولكن الحافلة كادت

تسحقه بحجمها الضخم ، الذى يفوق حجمها عدة مرات ، مما اضطره للخروج عن الطريق الأسفلتى ، والخوض فى بحر الرمال ، حتى توقفت سيارته ، فأطلق سائق الحافلة ضحكة أكثر جلجلة ، ارتجف لها معظم الركاب ، دون أن يجرؤ أحدهم على الاعتراض ، فى حين همست الراكبة لجارها فى ارتياع :

ـ أما زلت تنكر أنه مجنون ؟

قال فى تردد :

ـ لم أعد أدرى .. موقفه الأخير هذا يتجاوز حدود المنطق والعقل .

قالت فى حزم

ـ بالطبع .. إنه مجنون .

قال فى حيرة :

ـ لم أتوقع موقفه هذا أبدًا .. لقد كاد يقتل راكب السيارة بحركته هذه .

قالت فى سرعة :

ـ اعترف إذن أنه مجنون .

هز رأسه فى وقار ، وقال :

ـ كلنا مجانين .

قالت فى إصرار :

ـ فليكن .. ولكنه أكثرنا جنونًا .

نفث دخان غليونه ، وقال فى هدوء :

ـ لا أحد يدرى من الأكثر جنونًا ، فهذا السائق يطبق نظرية العقاب ، كما تحدث عنها بعض علماء وفلاسفة علم النفس .. إنه يشعر الان بالتفوق ، بعد أن هزم قائد السيارة ، مما دفعه إلى الانتقال إلى الخطوة التالية ، ألا وهى مرحلة سيطرة المنتصر على المهزوم ، ومعاقبته لأنه جرؤ على تحديه .. الجميع يفعلون هذا ، دون وعى منهم ، حتى الدول ، فما من

دولة منتصرة ، لم تحاول إذلال الدولة المهزومة ، وفرض إرادتها عليها .

قالت فى حدة :

ـ ولكنه لا يمتلك الحق فى معاقبة الآخرين .

قال فى بساطة :

ـ لا أحد يمكنه إقناعه بهذا .. إنه فى المركز الأقوى الآن ، من وجهة نظره ، ولن يقبل نقدًا أو توعية ، أو ..

قاطعته هاتفة :

ـ انظر .

التفت إلى حيث تشير ، والتقى حاجباه مرة أخرى ، عندما رأى السيارة الأنيقة ، وقد أخرجها قائدها من وسط الرمال ، وأطلق العنان لسرعتها ، فى محاولة لتجاوز الحافلة ..

وقالت الراكبة فى ضيق :

ـ مجنون آخر .. إنه يحاول الثأر لنفسه ، بتجاوز الحافلة مرة أخرى ، على الرغم من خطورة انطلاقه بالسيارة ، بكل هذه السرعة ، فى طريق كهذا .

غمغم جارها :

ـ ألم أقل لك ! .. كلنا مجانين .

راقبت السيارة فى قلق ، وهى تسابق الحافلة ، وقائد الحافلة يحاول منعها من تجاوزه بمناورات جنونية ، وقالت :

ـ ما الذى يدفع هذا الأرستقراطى لذلك إذن ؟ .. إنه لا يعانى إحباطات اجتماعية أو مالية !

قال فى هدوء واثق :

ـ هذا ما تتصورينه ، ولكن الواقع هو أنه يشعر الآن بالمهانة ، لأن سائق الحافلة فعل به هذا ؛ فهو ـ فى أعماق نفسه ـ يعتبر أنه واحد من قادة المجتمع ، ومن أرفع فئاته ، ولن يروق له أبدًا أن ينافسه واحد من طبقة أقل اجتماعيًا ، ويهزمه على هذه الصورة المزرية .

سألته فى اهتمام :

ـ أتظن السائق سيحاول دفعه خارج الطريق مرة أخرى ؟

أجابها على الفور :

ـ حتمًا .. ولكن قائد السيارة لن يمنحه الفرصة هذه المرة .. إنه لم يعد مجرّد تسابق على الطريق .. لقد صارت حربًا اجتماعية غير معلنة ، وسيسعى كل فرد فيها إلى الفوز ، مهما كان الثمن .

هتفت :

ـ ولكن هذا جنون .

أجاب فى بساطة :

ـ ولا حدود للجنون .

أرعبتها عبارته ، فالكمشت مرة أخرى فى مقعدها ، وهى تتمتم :

ـ نعم .. لا حدود للجنون .

راقبت فى ارتياع ذلك السباق الجنونى ، بين الحافلة والسيارة ، حتى تجاوزت السيارة الحافلة ، ثم مالت فى عنف ، وتوقفت بعرض الطريق ، معترضة طريق الحافلة ..

وفى دهشة صاح سائق الحافلة :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

وضغط فرامل سيارته فى عنف ، واندفع الركّاب إلى الأمام ، وارتطموا بالمقاعد الأمامية ، وتعالى صراخ بعضهم ، وصرخت الراكبة فى هلع :

ـ سنصطدم بالسيارة .

وأطلقت إطارات الحافلة صريرا عنيفا مخيفًا ، وراحت تلتهب على أسفلت الطريق ، حتى توقفت على قيد سنتيمترات من السيارة ، وصاح السائق :

ـ هذا جنون حقيقى .

ولكن قائد السيارة قفز خارجها فى غضب ، واندفع نحو الحافلة ، وصاح بالسائق :

ـ افتح الباب .

هتف السائق فى صرامة :

ـ ليس من حقك أن تملى أوامرك علىّ .

ولكن قائد السيارة أخرج فجأة من جيبه مسدسًا ، وأطلق رصاصتين منه على زجاج الحافلة ، فصرخت الراكبات ، وشهق الركّاب ، وصاح السائق :

ـ هل جننت يا رجل ؟!

صاح به قائد السيارة فى ثورة :

ـ افتح الباب ، وإلا استقرت الرصاصة القادمة فى رأسك .

أسرع السائق يفتح باب الحافلة ، فقفز قائد السيارة داخلها ، وصرخ فى وجهه :

ـ لقد حاولت قتلى .

قال السائق مرتجفًا أمام المسدس :

ـ لم أكن أقصد هذا .. أقسم لك .

ولكن قائد السيارة صرخ :

ـ بل كنت تقصده .. إنك لا تستحق قيادة حافلة كهذه .

وفجأة خفض فوهة مسدسه ، وأطلق رصاصتين على قدمى السائق ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، وتفجّرت الدماء من قدميه المصابتين ، وتعالت الصرخات فى الحافلة ، فى حين غادرها قائد السيارة ، وعاد إلى سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وكأنه لم يفعل شيئًا ، وصرخت الراكبة :

ـ أرأيت ما حدث ؟! .. إنه جنون .. جنون مطبق !

قال جارها فى توتر :

ـ كلنا مجانين ، ولا حدود للجنون .

وظل سائق الحافلة يصرخ :

ـ لقد أصابنى .. اطلبوا الشرطة .. استدعوا سيارة إسعاف .

وشعر جارها بالانزعاج ، لهذه الصرخات المتتالية ..

كان الجميع يصرخون بلا انقطاع ..

وهو لا يحتمل الصراخ ..

وفى حزم نهض من مقعده ، واتجه إلى حيث السائق ، الذى صاح به :

ـ انقذنى .. استدع سيارة إسعاف .. اطلب الشرطة .

ولكنه قال فى هدوء :

ـ لا يمكننى هذا .. الجميع يريدون الوصول إلى مقاصدهم ، وهذا سيعطلهم كثيرًا .

صرخ السائق :

ـ لن يذهب أحدكم إلى أى مكان ، قبل وصول الشرطة والإسعاف .. إننى مصاب ، وأنا قائد الحافلة .. هل تفهم ؟ ..

كان الجميع يواصلون صراخهم المزعج ، وهو يرغب فى استئناف السير بسرعة ، لذا فقد انحنى فى هدوء ، وحمل السائق ، ثم اتجه به إلى باب الحافلة ، وألقاه خارجها ..

وهنا توقّف صراخ الجميع ..

توقّف مع دهشتهم البالغة لما حدث ، وراحوا يراقبون الرجل ، الذى أغلق باب الحافلة بكل هدوء ، ليحجب صراخ السائق ، واتسعت عينا الراكبة فى ذهول ، وهى تتطلّع إليه ..

وفجأة صاح أحد الركّاب :

ـ يا إلهى ! .. إننى أعرف هذا الرجل .. صورته منشورة فى صحف اليوم .. إنه مجنون .

اتسعت عيون الجميع فى ذعر ، والراكب يتابع :

ـ نعم .. مجنون هارب من مستشفى الأمراض العقلية .

انكمشت الراكبة فى مقعدها فى رعب ، فى حين ألقى الرجل نظرة طويلة على ركّاب الحافلة ، ثم اتخذ مقعد السائق ، ورفع عصا السرعة فى هدوء ..

وانطلق بالحافلة ..

ولم يعترض راكب واحد .

كوكتيل ٢٠٠٠

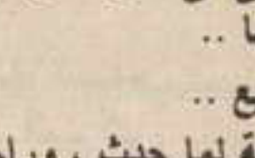

روايات مصرية للجيب

قصة العدد

التجربة الرهيبة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ فى قلب الليل ..

بدت تلك الفيلا المنعزلة ، على مشارف (حلوان) ، أشبه بقصر غامض مهجور ، وهى تقف وحدها ، بحديقتها المقفرة ، وسط مساحة خاوية شاسعة ، لم تمتد إليها يد العمران بعد ، ولولا تلك الأضواء ، المنبعثة من نوافذ الطابق الأرضى بها ، لما جرؤ مخلوق واحد على الاقتراب منها ، خشية أن تكون وكرًا للجن والأشباح ..

ولولا ما أحاط بالفيلا ، من مظاهر العزاء ، فى الأيام الأربعين الماضية ، لما انتبه أحد إلى وفاة المهندس (ضياء) ، زوج ابنة الحاج (رشدى) ، صاحب الفيلا ..

أما فى داخل الفيلا نفسها ، فقد بدا الحاج وزوجته باديا القلق والانزعاج ، عندما راحت ابنتهما (نورا) تجمع ثيابها ، فى حقيبتها الكبيرة ، مصرة على العودة إلى منزلها فى (القاهرة) ، بعد انقضاء أيام العزاء ، لتجتر هناك ذكريات زواجها القصير ، الذى لم يكمل عامًا واحدًا من العمر ، قبل أن يلقى (ضياء) مصرعه ، فى حادث سير ..

وفى قلق ، قال الحاج (رشدى) :

ـ لا يوجد ما يضطرك للعودة الآن يا (نورا) .. لقد غربت الشمس ، والليلة باردة ، ويمكنك البقاء حتى الصباح ، حتى يرافقك الدكتور (خالد) ، ابن عمتك على الأقل ، و ..

قاطعته بذلك الحزم العنيد ، الذى اشتهرت به منذ حداثتها :

ـ إنها لم تتجاوز الثامنة بعد يا أبى ، ولدى سيارتى الصغيرة ، ويمكننى حمل الحقيبة إليها ، وسأجد نفسى فى منزلى ، بعد ساعة واحدة .

هتفت أمها فى انزعاج :

ـ أتحملين الحقيبة بنفسك .. لا يا (نورا) .. لا تفعلى هذا .. إنك تحملين جنينًا لم يكتمل بعد .

قالت (نورا) ، وهى تغلق حقيبتها فى حسم :

ـ إننى حامل فى شهرى السابع يا أماه ، ويمكننى أن أنجبه الآن .. أليس كذلك ؟

قال والدها ، محاولًا إثناءها عن الرحيل ، فى هذا الوقت :

ـ ولماذا تفعلين ؟ .. هيا يا ابنتى .. اتركى الحقيبة ، و ..

قاطعته فى انفعال :

ـ سأرحل الآن يا أبى .

ثم انهمرت الدموع من عينيها ، وهى تستطرد :

ـ كل شىء هنا أصبح يذكرنى برحيل (ضياء) .. كل مكان يعيد إلىّ مشهد من أتوا للتعزية ، فى ثيابهم السوداء ، وحزنهم المفتعل .. صدقنى يا أبى إننى أحتاج إلى العودة إلى منزلى .. سأصاب بانهيار عصبى ، لو بقيت هنا أكثر من هذا .

أدرك الرجل بحكمته ، وخبرته الطويلة بالحياة ، أن ابنته على وشك

الإصابة بهذا الانهيار العصبى بالفعل ، فربّت على كتفها فى حنان ، وقال :

ـ فليكن يا (نورا) .. عودى إلى منزلك ياصغيرتى ، لو أن هذا ما تريدين بالفعل .

بكت أمها فى قلق ، عندما حمل الأب حقيبة ابنته ، ونقلها إلى سيارتها الصغيرة ، وهو يقول فى حنان :

ـ انتبهى للطريق فى أثناء القيادة ، واتصلى بنا فور عودتك ، لنطمئن على سلامتك .

طبعت على وجنته قبلة ، وهى تقول :

ـ سأفعل .

احتضنتها أمها ، وهى تبكى فى حرارة ، وغمرت وجهها بالقبلات ، وهى تكرر :

ـ اتصلى فور وصولك يا (نورا) .. لا تقلقينا عليك طويلًا يا بنيتى .

كررت (نورا) ، وهى تنتزع نفسها فى رفق ، من ذراعى أمها ، وتسرع بالدخول إلى سيارتها :

ـ سأفعل يا أماه .. صدقينى .

لوّحت بكفيها لوالديها ، وانطلقت بسيّارتها الصغيرة ، وحملها المنكوّر أمامها يكاد يعوق صلتها بعجلة القيادة ..

لم تكن تحتمل حقًا البقاء فى فيلا والديها ..

تلك الفيلا التى التقت فيها بزوجها الراحل (ضياء) ، لأوّل مرة ..

الفيلا التى شهدت حبهما ، عندما كان مهندسًا مشرفًا على تنسيق ديكوراتها ..

نفس الفيلا التى حوت جثمانه ، بعد مصرعه فى حادث سيارة ، وهو يسرع لرؤيتها ، بعد عودته من رحلة عمل قصيرة ، قضت هى فترتها فى الفيلا ، تحت رعاية أمها ، التى أبت أن تتركها وحدها ، وهى تحمل جنينها الأول ..

وكم تشعر بالحزن الآن ، لأن هذا الطفل سيولد يتيمًا ..

استغرقتها الذكريات ، وهى تنطلق بسيارتها فى شرود ، حتى أنها ـ ودون أن تدرى ـ دخلت طريقًا فرعيًا غير مأهول ، بدلًا من أن تواصل سيرها ، فى الطريق الرئيسى ..

وفجأة انتبهت إلى هذا ..

انتبهت إليه بسبب الظلام الدامس ، الذى يحيط بها من كل صوب ، والذى لا يكاد يبدّد مصباحا سيّارتها شريطًا ضيقًا منه ..

وفى حركة مباغتة ، أوقفت سيارتها ، وشعرت بألم فى معدتها ، عندما ارتطمت بعجلة القيادة ، ثم اعتدلت تتلفت حولها فى قلق ، مغمغمة :

ـ أين وضعت نفسى بالضبط ؟

كان من الواضح أنها قد قطعت شوطًا طويلًا ، فى هذا الطريق ؛ إذ أن الظلام كان يمتد حولها إلى آفاق البصر ، مما بعث فى نفسها الخوف ، وجعلها تغمغم فى توتر وقلق :

ـ ليتنى أطعت أبى ، وبقيت حتى الصباح .

كانت وحدها تعرف السبب الحقيقى ، الذى دفعها للعودة فى المساء .. إنه (خالد) ..

ابن عمتها الدكتور (خالد) ..

كان (ضياء) يشعر بالغيرة منه فى حياته ؛ لأنه كان المرشح للزواج منها ، قبل أن تلتقىَ بـ (ضياء) ..

وفى عمر زواجهما القصير ، حرصت أشد الحرص ، على ألا تلتقى بـ (خالد) ، إلا فى أضيق الحدود ..

ومنذ وفاة (ضياء) ، وهى تلتقى به يوميًا ، على الرغم منها .. إنه لم يتركها لحظة واحدة ، فى الأسبوع الأوّل للوفاة ، وحرص على زيارتها كل صباح ـ بعد هذا ـ للاطمئنان على شئونها وحالتها النفسية والصحية..

وهى تعلم أنه سيصر على مرافقتها إلى منزلها . لو أنها رحلت فى وجوده ..

ولهذا تعمّدت الرحيل فى المساء ، بعد انصرافه بساعات ..

وفى عمق ، أطلقت زفرة حارة ، وقالت :

ـ لا مناص من العودة .. لقد أضعت وقتًا طويلًا هنا ..

كانت تهمّ بالعودة ، عندما راودتها فكرة جديدة ..

لم لا تواصل سيرها ، حتى تبلغ منطقة التقاء هذا الطريق الفرعى ، بالطريق الرئيسى ؟ ..

إنها تذكر أنهم يقيمون هذا الطريق كوصلة جانبية ، تعود لتلتقى مرة أخرى بطريق (المعادى) الرئيسى ، ولقد قطعت شوطًا طويلًا فيه ، وستبلغ نهايته حتمًا ، بعد وقت قصير ..

استعانت بالله (سبحانه وتعالى) ، وواصلت سيرها ، عبر الطريق نصف الممهد ، وهى توليه انتباهها فى شدة ، و ..

وفجأة توقفت السيارة ..

لم تدر لماذا حدث هذا ، ولكن المحرّك توقف عن العمل بغتة ، وخفتت أضواء السيارة كثيرًا ، حتى أصبحت مجرّد بصيص شاحب أصفر ، فهتفت فى توتر شديد :

ـ هذا ما كان ينقصنى .

حاولت إدارة المحرّك عدة مرات ، ولكنه فى كل مرة كان يبدو أشبه بالميت ، دون أدنى استجابة ، فى حين تغير لون بصيص الضوء ، المنبعث من مصباحى السيارة ، فبدا برتقاليًا ، يميل إلى الحمرة ، مما صبغ الحصى القريبة بلون مخيف ، ضاعف من شعور (نورا) ، بالقلق والتوتر ، فهتفت محنقة :

ـ أنا أستحق كل هذا .. كان ينبغى أن أبقى ، والصباح رباح ..

انتبهت فجأة إلى الضوء الشاحب ، الذى يقترب من بعيد ، فانتعش الأمل فى قلبها ، وهى تقول :

ـ سيارة ! .. حمدًا لله .. هناك سيارة تقترب .

فتحت باب سيارتها ، وقفت تلوح بكفيها ، للمصباحين الباهتين ، اللذين يقتربان فى سرعة كبيرة ، و ..

وفجأة بدا ذلك الشىء ..

واتسعت عيون (نورا) فى رعب وذهول ..

إنه لم يكن سيارة كما تصوّرت ، بل كان طبقًا ..

طبقًا طائرًا ..

★ ★ ★

حلم ..

من المؤكد أنه حلم ..

هذا ما ردّدته (نورا) لنفسها ، وهى تحدّق ذاهلة فى ذلك الجسم الاسطوانى المفلطح ، الذى تعلوه قبة نصف كروية ضخمة ، والذى توقف فى الهواء ، على بعد أمتار منها ، صابغًا المنطقة كلها بضوء باهت عجيب ، يتأرجح ما بين البرتقالى والأخضر ، وكأنما يراقبها فى اهتمام .

وفى حلقها احتبست صرخة رعب ، أطلّت من عينيها واضحة ، وهى تحاول الفرار ، ولكن قدميها تسمرانها فى الأرض ، وعقلها يرتجف ذعرًا ودهشة وحيرة ..

أهو طبق طائر حقًا ؟! ..

واحد من تلك الأطباق الطائرة ، التى تأتى من الفضاء البعيد ، والتى قرأت عنها أكثر من مرة ..

إنها لم تؤمن أبدًا بوجود مثل هذه الأشياء ..

لم تصدق لحظة واحدة أنه توجد فى الكون مخلوقات عاقلة أخرى ، يمكنها أن تجوب الفضاء ، وتصنع الأطباق والسفن الطائرة ..

ولكن ها هى ذى أمام أحد الأطباق الطائرة ..

لو أنها لاتحلم ..

ولثوان تجمّد المشهد تمامًا ، حتى بدا كصورة فوتوجرافية ، يحيط بها إطار من سواد الليل والصمت والقلق والخوف ..

وفجأة انبعث ذلك الشعاع من الطبق الطائر ..

شعاع بنفسجى ، أحاط بجسدها فجأة ، وبعث فيه قشعريرة باردة ، انتفض لها فى عنف ، قبل أن تتصارع خلاياها كلها ، وتقاتل للخروج من هذا الجسد ..

والعجيب أن هذا ما شعرت به بالضبط ..

شعرت أن خلاياها تقفز خارج جسدها ، فى نفس الوقت الذى تحوّل فيه ذلك الضوء البنفسجى ، المحيط بها ، إلى ظلام تام ، قفز عبره جسدها ، كما لو كانت تعبر أنبوبًا مظلمًا عميقًا وطويلًا ، و ..

وانتهى كل هذا فجأة ..

مرة أخرى شعرت وكأن خلاياها تتراص إلى جوار بعضها البعض ، لتعيد صنع جسدها ، والظلام يتبدد من حولها ، ليعود ذلك الضوء البنفسجى ، مع فارق واحد ..

أنها لم تعد تقف إلى جوار سيارتها ..

لقد أصبحت فى الداخل ..

داخل الطبق الطائر .

٢ ـ الميلاد ..

« مبارك .. »

نطق الطبيب هذه الكلمة فى ارتياح ، وامتزجت حروفها ببكاء الوليد ، الذى يستقبل العالم لأوّل مرة ، وسالت دموع التعب والسعادة من عينى (نورا) ، وهى تسأله :

ـ طفل أم طفلة ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ طفل نكر قوى ، يزن ثلاثة كيلو جرامات ومائتى جرام بالتمام والكمال .

سألته فى تهالك :

ـ أهو بخير ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ حاليًا نعم .. لقد تصوّرت لدقائق أننا قد فقدناه ، والعياذ بالله ، فقد أصابه اختناق رحمى ، كاد يودى به ، ولكنه لم يلبث أن عاد للتنفس ، بعد ست دقائق كاملة .

ثم حكّ رأسه مستطردًا :

ـ والواقع أنها فترة أطول مما ينبغى ، حتى لقد تصوّرنا أنه لن يفطها أبدًا ، ولكن ..

عاد يبتسم ، ويلوّح بكفيه ، مستطردًا :

ـ رحمة الله (سبحانه وتعالى) تسع كل شىء .

اشتاقت لضمّ ابنها إلى صدرها ..

ابن (ضياء) ..

الأمل الذى عاش يحلم به ، ثم مات دون أن يراه ..

ولكن الأطباء منعوها فى رفق من هذا ، حتى انتهت الممرضات من تنظيف الصغير ، ووضعه داخل ثيابه الجديدة ، التى تختلف كثيرًا عن ذلك السائل الناعم الرقيق ، الذى كان يحيط به فى رحم أمه ، ثم لم تلبث (نورا) أن التقطته بين ذراعيها ، وطبعت قبلة على جبينه ، وهى ترقد فى حجرتها الخاصة بالمستشفى ، وابتسم والدها ابتسامة حانية مشفقة ، وهو يربّت على كتفها ، قائلًا :

ـ مبارك يا بنيتى .. أى اسم ستطلقينه عليه ؟

أجابت فى سرعة :

ـ (تامر) .. (تامر ضياء) .. لقد اختار (ضياء) الاسم بنفسه ، قبل أن .. أن .. تلعثمت ، مع الجزء الأخير من العبارة ، وترقرقت عيناها بالدموع ، فأسرع والدها يخرجها من الموقف ، قائلًا :

ـ جميل اسم (تامر) هذا .. أليس كذلك ؟

أجابت أمها فى حنان :

ـ بالتأكيد .

أما ابن عمتها ، الدكتور (خالد) ، فقد ابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ إنه اسم رائع .

تحاشت النظر إلى (خالد) ، واحتوت صغيرها فى حنان ورفق ، وتصاعد بكاؤه تدريجيًا ، فغمغمت :

ـ يبدو أنه جائع .

تحسّست أمها رأس الصغير ، قائلة :

ـ ينبغى إرضاعه من اللحظة الأولى .

اختلست النظر إلى (خالد) فى حرج ، فقال بسرعة :

ـ سأضطر لمغادرتكم الآن ، فلدى بعض الأعمال ، فى القسم الذى أعمل به ، ويمكنكم الاتصال بى هناك ، لو احتجتم لأى شىء .

غادر المكان على الفور ، وانتظرت (نورا) لحظة ، ثم ألقمت وليدها ثديها ، وتركته يمتص منه غذاءه فى نهم ، فى حين قال والدها فى هدوء :

ـ مهذب للغاية (خالد) هذا .

قالت الأم مؤيدة ، وهى ترمق ابنتها الوحيدة بنظرة جانبية :

ـ وهو ناجح فى عمله ، وبعد واحدًا من الأطباء المرموقين ، فى جراحات المخ والأعصاب ، على الرغم من صغر سنه .

أدركت (نورا) ما يرميان إليه ، ولكنها تجاهلت الأمر تمامًا ، وتركتهما بعد أن مآثر (خالد) ، دون أن تشاركهما الحديث ، وانتظرت حتى شبع طفلها تمامًا ، واستسلم للنوم ، فقالت :

ـ كم من الأيام سأبقى هنا ؟

أجابها والدها :

ـ هذه الليلة فحسب ، وبعدها سننتقل إلى الفيلا .

قالت فى قلق :

ـ أريد الذهاب إلى منزلى مباشرة .

قالت والدتها معترضة :

ـ وما الفارق ؟ .. إننا سنرعاك فى الفيلا ، و ..

قاطعتها فى توتر :

ـ فلنذهب إلى منزلى إذن ، ما دام لا يوجد فارق .

تبادل والدها ووالدتها نظرة حائرة قلقة ، ثم تنهدت الأم ، قائلة :

ـ فليكن يا (نورا) .. سنصحبك إلى منزلك ، ما دام هذا يريحك .

قضى الأب معهما بعض الوقت ، ثم نهض قائلًا :

ـ حسنًا يا (نورا) .. سأنصرف الآن ، وستبقى أمك معك حتى الصباح .

غمغمت (نورا) :

ـ يمكنك أن تصحب أمى أيضًا .. إننى بخير .

ابتسم قائلًا :

ـ كلاّ .. ستبقى أمك لرعايتك الليلة .

وهتفت الأم :

ـ لن أتركك وحدك أبدًا .

ولم تمض نصف الساعة ، بعد انصراف الأب ، حتى كانت الأم والابنة قد لحقتا بالوليد ، وغرقتا فى نوم عميق ..

ومضت الليلة هادئة عادية ، إلا من أمر واحد ، لم ينتبه إليه أحد تقريبًا ..

شعاع من الضوء البنفسجى ، هبط من بين السحب ، واستقرّ فى حجرة (نورا) ..

وقد حدث هذا الأمر مرتين .

٣ ـ لعبة ..

انطلقت ضحكة الطفلة الصغيرة (مروة) ، ابنة الشقيق الأصغر للحاج (رشدى) ، وهى تعدو عبر حديقة الفيلا ، التى اكتست ببعض الحشائش القصيرة ، وهتفت تنادى الطفل الصغير ، الذى تجاوز عامه الأول ببضعة شهور ، وراح يسير خلفها متعثرًا :

ـ أسرع يا (تامر) .. أسرع ..سأمنحك بعض الحلوى ، لو أمسكتنى .

تبعها (تامر) ضاحكًا فى براءة ، وعبر معها الباب الخلفى للفيلا ، إلى حجرة مكتب جده ، التى عبرتها (مروة) جريًا ، وهى تقول :

ـ هيا .. امسك بى .

كان يتبعها فى سعادة ، عندما جذبت الخزانة المفتوحة انتباهه ..

كانت خزانة حديدية ضخمة ، أفرغها الجد من محتوياتها منذ قليل ، وترك بابها مفتوحا ، ريثما يرحب بشقيقه الأصغر ..

وفى فضول وشغف ، اقترب (تامر) من الخزانة ، وأمسك بابها ، وراح يتطلع داخلها فى اهتمام . فعادت (مروة) تقول فى ضجر :

ـ هيا يا (تامر) .. حاول أن تمسكنى .

تجاهلها الصغير ، وهو يصعد إلى الخزانة ، المستقرة على أرض

الغرفة ، ثم يجلس داخلها ، ويعبث فى محتوياتها القليلة الباقية ، فهتفت غاضبة :

ـ (تامر) .. لن أمنحك الحلوى .

بدا وكأنه لا يهتمّ بحديثها مطلقًا ، فعقدت ساعديها الصغيرين أمام صدرها ، وقالت محنقة :

ـ حسنًا .. أنا غاضبة .

وغادرت الحجرة فى غضب ، فى حين واصل هو لعبه ، واستغرقه هذا الأمر تمامًا ، حتى أنه لم يشعر بقدوم الخادمة ، التى لم تنتبه إلى وجوده بدورها ، فأقدمت على عمل رهيب ..

أغلقت باب الخزانة ..

وغرق الصغير فجأة فى ظلام دامس رهيب ..

ولكن العجيب أنه لم يشعر بالخوف ..

فقط أسند ظهره لجدار الخزانة ، وجلس ينتظر ..

وبكل هدوء ..

★ ★ ★

« أين (تامر) يا (مروة) ؟ .. »

سألت (نورا) الصغيرة فى قلق ، عندما انتبهت فجأة إلى أنها تلعب وحدها ، داخل حجرة الضيوف ، فواصلت (مروة) لعبها ، وهى تجيب :

ـ أنا غاضبة منه ، فقد رفض اللعب معى .

سألتها (نورا) فى قلق أكثر :

ـ وأين هو الآن ؟

أجابتها الصغيرة بهزة من كتفيها ، وهى تقول :

ـ لست أدرى .

هتفت (نورا) فى ذعر :

ـ لست تدرين ؟! .. أين ابنى ؟

أسرعت تعدو كالمجنونة ، فى أرجاء الفيلا ، وهى تهتف باسم ابنها ، أسرعت إليها أمها منزعجة ، وهى تسألها :

ـ ماذا حدث ؟ .. أين (تامر) ؟

انهمرت الدموع من عينى (نورا) ، وهى تقول :

ـ لم أجده فى أى مكان .. لقد ضاع ولدى .

حاول الأب تهدئتها ، وهو يقول :

ـ سنجده بإذن الله يا بنيتى .. اطمئنى .. لا يمكن أن يذهب بعيدًا .

راح الجميع يبحثون عن الطفل ، فى الفيلا كلها ، ثم قال شقيق الوالد فى توتر :

ـ لا يوجد أدنى أثر له .. أخشى أن ..

صرخت (نورا) :

ـ أن ماذا ؟ .. ماذا يمكن أن يحدث ؟

ثم استدارت إلى (مروة) ، صارخة :

ـ أين (تامر) يا (مروة) ؟

بكت الصغيرة فى خوف ، وهى تقول :

ـ لست أدرى .. لقد كنا نلعب معًا ، عندما تركنى ، وراح يعبث بالخزانة الكبيرة .

اتسعت عينا الأب فى ذعر ، وهو يهتف :

ـ الخزانة .. أية خزانة ؟

أجابته (مروة) باكية :

ـ خزانتك يا عماه .. تركنى وراح يلعب داخلها .

صرخت (نورا) فى ذعر ، وهوت الأم على أقرب مقعد إليها ، فى حين اندفع الوالد وشقيقه إلى حجرة المكتب ، والأب يهتف :

ـ منذ متى حدث هذا ؟

أجابته (مروة) ، وهى تنتحب :

ـ قبل برامج الأطفال بقليل .

هتف مذعورًا :

ـ أى منذ ساعة كاملة ؟! .. رباه ! .. الخزانة محكمة الإغلاق ، ولن تكفيه كمية الهواء داخلها .

هوى قلب (نورا) بين قدميها ، وهى تهتف :

ـ اختنق ؟! .. ابنى اختنق .

انفجرت باكية فجأة ، وسرت فى جسد الوالد قشعريرة باردة ، وهو يدير

قفل الخزانة بأصابع مرتجفة ، وخفق قلبه فى عنف ، عندما بدأ يفتح باب الخزانة ..

وتجمد الجميع ..

كانوا يتوقعون رؤية الطفل جثة هامدة ، وقد اختنق من نقص الأكسجين بالخزانة ، ولكن بدلا من هذا ، وجدوه هادئا ، مبتسما ، يجلس داخل الخزانة ، ويتطلع إليهم فى سعادة وبراءة ..

واندفعت (نورا) تختطف ابنها ، وتعتصره فى صدرها ، وهى تهتف :

ـ ابنى .. حمدا لله .. حمدا لله .

أما الوالد ، فقد حدق فى الصغير ذاهلا ..

كان واثقا من أن أى مخلوق بشرى ، لا يمكنه احتمال البقاء داخل الخزانة لساعة كاملة ، دون قناع أكسجين خاص ..

ولكن (تامر) فعل ..

فعل مالا يمكن أن يفعله بشرى ..

وفى ذهول وخفوت ، راح الوالد يردد ،

هذا الطفل غير عادى .. غير عادى بالتأكيد .

ولكن أحدا لم يسمعه ..

لحسن الحظ ..

٤ ـ فى الأعماق ..

استرخت (نورا) على مقعدها الصغير فى النادى ، أمام حوض السباحة ، تراقب طفلها الصغير بابتسامة حانية ، وهو يعدو مع الأطفال الآخرين حول الحوض ، ويطلق صرخات المرح والسعادة ، مع اللعب واللهو ، وسرحت بأفكارها مع ذكريات الماضى ، وتمنت لو أن زوجها (ضياء) كان معها الآن ، يراقب ابنه ، الذى كان يحلم بإنجابه ، والذى يحمل اسمه الآن ، و ..

، صباح الخير يا (نورا) .. ، ..

انتزعها صوت (خالد) من ذكرياتها ، فانتفضت ، والتفتت إليه بحركة حادة ، جعلته يغمغم فى حرج :

ـ هل أفزعتك ؟

أطلقت ضحكة مرتبكة ، وقالت :

ـ كنت شاردة فحسب .

بقى واقفا أمامها ، متطلعا إليها ، وكأنما يخشى الجلوس معها ، وشعرت هى بالحرج من موقفه ، فقالت :

ـ تفضل يا (خالد) .

بدا وكأنها قد أزاحت عن كاهله حملًا ثقيلًا بعبارتها ، إذا ارتسم الارتياح على وجهه ، وجلس على المقعد المقابل لها فى هدوء ، وهو يسألها فى حنان :

ـ كيف حالك يا (نورا) ؟

غمغمت :

ـ بخير حال والحمد لله .

سألها :

ـ وكيف حال (تامر) ؟

صمتت لحظات ، وهى تتطلع إلى (تامر) ، الذى انشغل بمراقبة بعض الصبية ، وهم يلقون حصاة صغيرة ، فى قلب حوض السباحة ، ثم أجابت :

ـ إنه طفل عادى ، باستثناء عدم قدرته على الكلام حتى الآن ، على الرغم من بلوغه سن الثالثة .

أجابها فى حنان :

ـ لا تجعلى هذا يقلقك .. لقد أجرينا له اختبارًا للسمع ، وثبت أنه سليم صحيًا ، وعدم قدرته على الكلام أمر مؤقت ، بدليل قدرته على الصراخ ، و ..

سألته مقاطعة فى اهتمام :

ـ ألا يمكننا إجراء فحوص أخرى ؟

أجابها فى بساطة :

ـ بالطبع .. يمكننا إجراء رسم مقطعى للمخ ، للتأكد من سلامة مركز الكلام ، فى الفص الأيسر للمخ ، ما دام الأمر يقلقك إلى هذا الحد .

بدت أكثر ارتياحًا لهذا الاقتراح ، وهى تقول :

ـ نعم .. يمكننا إجراء هذا .

شملها الصمت ، لحظات ، بعد هذه العبارة ، وتطلع هو خلال هذه

اللحظات إليها ، وهى تتحاشى النظر إليه ، ثم قال فجأة :

ـ أيضايقك وجودى يا (نورا) ؟

سألته فى حرج :

ـ لماذا تقول هذا ؟

أجابها فى ضيق :

ـ إنك تتحاشين النظر إلىّ ، كما لو أنك تبغضيننى .. لماذا يا (نورا) ؟ .. لماذا ؟ .. إننى لم أحاول الإساءة إليك أبدًا ، ولم أقف فى طريق سعادتك قط ، حتى عندما اخترت الزواج من (ضياء) ـ رحمه الله ـ وكنت أوّل من جاء لتهنئتكما بعد الزواج ، ولم أغضب ، أو أثر ، أو أفعل ما يمكن أن يغضبك منى إلى هذا الحد .

كان صادقًا فى كل ما نطق به ، حتى أنها شعرت بالحرج ، وبتأنيب الضمير ، وغمغمت وهى تبحث عن كلمات مناسبة لإجابته :

ـ لست غاضبة منك يا (خالد) .. صدقنى .. المشكلة هى أن ..

قاطعها فجأة صراخ بعض النساء ، وحالة من الهرج ، جعلتها تقفز من مقعدها ، صائحة :

ـ (تامر) ..

تطلعت إلى حيث كان ، ولكنها لم تجده ، ورأت البعض يسرعون نحو الجزء العميق من حوض السباحة ، أسفل لوح القفز المرتفع ، وبعض الصبية يهتفون :

ـ إنه (تامر) .. لقد سقطت الحصاة فى الجزء العميق ، فقفز خلفها ليحضرها ..

صرخت مرة أخرى فى رعب :

ـ (تامر) .. (تامر) .

كان ذلك الجزء ، من حوض السباحة ، شديد العمق ، حتى أن قراره كان

يبدو مظلمًا ، ومن الصبر تبين الطفل داخله .. ولقد قفز مدربو السباحة إلى الأعماق ، فى محاولة لإنقاذ الصغير ، فى حين راح البعض الآخر يقول :

ـ لن يمكنه لحتمال الضغط .. العمق هنا يبلغ ستة أمتار .

انهارت (نورا) ، وراحت تصرخ :

ـ ابنى (تامر) ..(تامر) .

التفت بعض النساء حولها ، ورحن يهدئن من انفعالاتها ، فى حين التقى حاجبا (خالد) فى شدة ، وهو يحدق فى الأعماق المظلمة ..

مستحيل ! ..

مستحيل أن يبقى الطفل على قيد الحياة ، فى هذا العمق ! ..

لن يحتمل الضغط على أذنيه ورأسه ..

ولن يحتمل البقاء لفترة طويلة دون هواء ..

وفى أعماقه شعر بالحزن والمرارة ..

مسكينة (نورا) ..

لن تحتمل صدمة أخرى بفقد ابنها ، بعد أن فقدت زوجها ..

مسكينة هى ! ..

وصعد أحد المدربين إلى سطح الحوض ..

وتعلقت به عيون الجميع ..

ولكن يديه كانتا خاليتين ، وعيناه تحملان يأس الدنيا كلها ، وهو يهز رأسه نفيًا ..

وتفجرت الدموع فى العيون ..

وانهارت (نورا) ..

وظهر المدرب الثانى ، وهو يحمل نفس اليأس والأسف والحزن ..

ثم كانت المفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ، اتسعت لها عيون الجميع ، وخفقت قلوبهم ، وتجمدت مشاعرهم ..

لقد برز (تامر) فوق السطح ..

برز مبتسمًا ، سعيدًا ، ظافرًا ، وهو يحمل الحصاة فى يده ، ويلوّح بها للصبية ..

ولثوان ، ران صمت رهيب على المكان ..

ثم تفجرت الهتافات ، واندفع الجميع نحو الحوض ، وعلى رأسهم (نورا) ، التى بدت كالصاروخ ، وهى تقفز نحو الحوض ، هاتفة :

ـ (تامر) .. ابنى .. ابنى .

حمل أحد المدربين (تامر) ، إلى حيث تقف أمه ، وتركها تحتويه فى صدرها ، وهو يقول فى حيرة شديدة :

ـ إنها معجزة ! .. ما فعله هذا الصغير يعد مستحيلًا بالفعل !

لم تبال (نورا) بما يردده ذلك الجمع من رواد النادى ، الذى التف حولها ..

لقد نجا ابنها ..

وهذا كل ما يعنيها ..

واقترب (خالد) منها ، وربت على رأس (تامر) ، الذى ابتسم له فى هدوء ، فبادله (خالد) الابتسام ، وهو يقول لـ (نورا) فى قلق :

ـ أظن أنه من الضرورى أن نفحص (تامر) .

ضمت ابنها إلى صدرها فى قوة ، وهى تقول :

ـ لماذا ؟

قال محاولًا تهدئة انفعالها :

ـ لنطمئن عليه فقط .. إنه مجرد فحص عادى ، فقد هبط إلى عمق

كبير ، وأخشى أن تكون أثناءه قد تعرّضتا لأية أضرار .

تردّدت ، وهى تضمّ ابنها إلى صدرها ، فكرّر فى لهجة تدعو إلى الثقة :

ـ صدقينى .. إنه مجرّد فحص بسيط وروتينى .. هل توافقين ؟

كانت تشعر بالخوف على ابنها ، ولكنها أدركت صحة ما يقول (خالد) ، فأومأت برأسها ، وغمغمت :

ـ أوافق .. أوافق يا (خالد) .

وضمّت الصغير إلى صدرها أكثر وأكثر ..

★ ★ ★

تضاعف قلق (نورا) وتوترها ، وهى تقف خارج حجرة الرسم المقطعى للمخ ، وبدت شديدة العصبية ، وهى تسأل (خالد) :

ـ هل سيستغرق هذا وقتًا طويلًا ؟

أجابها (خالد) مهدئًا :

ـ لم يتبق الكثير .. وهى فرصة لفحص مركز الكلام . فى الفص الأيسر . من مخه .. اطمئنى .

قالت والدموع تترقرق فى عينيها :

ـ لقد أرهقوه كثيرًا ، وهو لم يتعدّ الثالثة بعد .

كان يعلم أنه من الطبيعى أن تشعر بكل هذا القلق . على طفلها الوحيد ، ولكنه كان يحاول تهدئتها ، وهو يقول فى رفق حنون :

ـ لم يرهقوه كما تتصوّرين .. لقد فحصه طبيب الأنف والأذن والحنجرة فحسب ، وتأكد من سلامة طبلة أذنه ، والآن يفحصون مخه ، برسّام المخ المقطعى ، وهذا ليس فحصًا مؤلمًا .

قالت وهى تفرك كفيها فى شدة :

ولكننى أشعر بالقلق .

ربّت على كتفها ، قائلًا :

ـ هذا أمر طبيعى .

انتفض جسدها مع لمسته ..

لم تكن تحتمل أبدًا أن يلمسها شخص آخر ، بخلاف (ضياء) ..

حتى لو كانت هذه اللمسة تلقائية بريئة ..

وحتى لو كان هذا الشخص هو (خالد) ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اعترفت فى أعماقها ـ لأوّل مرة ـ أنها تعتبر (خالد) شخصًا مختلفًا ، عن كل من عرفتهم ..

هو وحده تشعر نحوه بارتياح خاص ..

ارتياح عجيب ، يجعلها تخجل من نفسها فى بعض الأحيان ، وتشعر فى أحيان أخرى أنها تخون (ضياء) ..

تخون حبه ..

وأحلامه ..

لم تكن قد اعترفت نفسيًا بعد ، بأن (ضياء) لم يعد ينتمى إلى عالمها ..

لم يمكنها هذا قط ..

وفجأة شعرت بتأنيب الضمير ..

كيف تفكّر فى مثل هذا الأمر ، وابنها يرقد داخل حجرة الفحص ؟ ..

كيف تنساه ، وتنكر نفسها فحسب ؟ ..

كاد تأنيب الضمير يفجّر تلك الدموع ، الحبيسة فى مقلتيها ، عندما اندفع أحد الأطباء خارج حجرة الفحص ، وقال لـ (خالد) .. فى توتر بالغ :

ـ دكتور خالد .. إننا نحتاج إليك .

هوى قلبها بين ضلوعها ، واحتبست صرخة ذعر فى أعماقها ، فى

حين سأل (خالد) الطبيب فى لهفة :

ـ ماذا هناك ؟

ارتجف صوت الطبيب ، وهو يقول :

ـ أمر عجيب يا دكتور (خالد) .. أعجب شىء رأيته ، فى حياتى كلها .

وتوقف قلب (نورا) عن النبض .

٥ ـ ذلك الشىء ..

عدل الدكتور (فائق) ، رئيس قسم جراحات المخ والأعصاب ، منظاره ، وهو يطالع رسوم المخ المقطعية ، قبل أن يهز رأسه ، قائلا فى حيرة :

ـ مدهش !

ثم التفت إلى (خالد) ، مستطردا :

ـ أغرب شىء شاهدته فى حياتى بالفعل .

التقط منه (خالد) الرسوم ، وراح يفحصها للمرة العاشرة ، فى حين ضمت (نورا) (تامر) إليها ، وهى تسأل فى عصبية :

ـ هل يمكنكما شرح الأمر لى ؟

التفت إليها الدكتور (فائق) ، وخلع منظاره ، ليضعه على سطح مكتبه ، ثم ألقى نظرة طويلة على (تامر) ، ومنحه ابتسامة هادئة ، قبل أن يجيبها :

ـ مخ ابنك يحمل شيئا عجيبا يا سيدتى .

سألته فى هلع ، وهى تضم (تامر) إليها أكثر :

ـ أهو مرض ما ؟

هز رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ كلا .. إنها بؤرة نشطة .

سألت فى خوف :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابها (خالد) هذه المرة ، وهو يشير إلى الرسوم :

ـ هذا الشىء ليس خلايا بشرية عادية ، أو حتى مريضة يا (نورا) .. إنه جسم غريب ، تم زرعه بوسيلة ما فى مخ (تامر) ، بالقرب من مركز التنفس ، وهذا الشىء يبث إشارات نشطة للغاية ، تؤثر بشكل ما على مخ (تامر) ، وربما كانت السبب فى عدم تكلمه حتى الآن ، ولكننا لا نستطيع الجزم بهذا ، قبل إجراء المزيد من التجارب والفحوص ، و ..

هتفت مستنكرة :

ـ التجارب والفحوص ؟! .. ماذا تظنون ابنى بالضبط ؟ .. فأر تجارب ؟!

أجابها الدكتور (فائق) فى هدوء وحسم :

ـ كلا يا سيدتى .. لسنا نظن ابنك فأر تجارب ، وإلا لكان مخه بين أيدينا الآن ، ندرس فيه هذه الظاهرة بكل هدوء واهتمام ، دون أن يفكر شخص واحد فى الاعتراض ، فيما عدا (جمعية الرفق بالحيوان) بالطبع .. وإنما نحن ننظر إلى ابنك باعتباره بشريًا ، له كل الأهمية ، ومن حقه أن يحظى بكل الرعاية والاهتمام والعناية ، ولهذا السبب وحده نحاول إجراء المزيد من التجارب والفحوص ، لنتيقن من أن هذا الشىء لن يؤذى ابنك ، بوجوده داخل مخه ، ولو على المدى البعيد ، ولندرك ما هية هذا الشىء أيضًا ، فنحن نجهل ما هو ، وما الذى وضعه فى مخ الطفل .. أهو جزء من أداة جراحية ، تسللت إلى مخه ، فى أثناء الولادة ، واستقرّ هناك ، أم

هو ورم من نوع جديد ، له نشاط إشعاعى .. صدقينى يا سيدتى .. إننا سنجرى هذه التجارب والفحوص لمصلحة ابنك ، وليس العكس .

صمتت (نورا) لحظات ، وهى تتطلع إليه فى ذعر ، ورددت بصوت مختنق :

ـ لن أسمح لكم بإجراء أية تجارب عليه .

تدخل (خالد) ، قائلًا :

ـ (نورا) .. هذا لمصلحة (تامر) ، ولولا ذلك لما ..

قاطعته ، وهى تهب من مقعدها ، وتحتضن (تامر) فى شدة ، وكأنها تحاول حمايته من عدو خفى :

ـ لا .. لن أسمح لكم بهذا .. لن أسمح لكم بإجراء تجاربكم عليه ، كما فعل الآخرون .

حدق (خالد) والدكتور (فائق) فى وجهها بدهشة ، وغمغم (خالد) :

ـ أى آخرين يا (نورا) ؟

زاغت نظراتها ، وهى تقول فى توتر :

ـ الآخرون .. أولئك الـ .. الـ ..

اتسعت عيناها فجأة فى ذعر ، وأفلتت الصغير ، وهى تصرخ :

ـ لا .. لا .. لا تفعلوا هذا بطفلى .. لا .

تبادل (خالد) والدكتور (فائق) نظرات دهشة بالغة ، فى حين تطلع (تامر) إلى أمه فى قلق وحيرة ، وهى تردد :

ـ أرجوكم .. اتركوا طفلى .. اتركوه .

اتجه إليها (خالد) ، وأمسك كتفيها فى رفق ، وهو يقول :

ـ اهدئى يا (نورا) .. اهدئى .. لا أحد يرغب فى الإساءة إلى طفلك .

صرخت وهى تدفعه بعيدًا عنها :

ـ لا .. ابتعدوا عنى .. لا تفعلوا بى هذا .. لا .
ثم أمسكت جانبى رأسها بكفيها ، صارخة .
ـ لا ..
وهوت بين ذراعى (خالد) ..
وفقدت الوعى ..

★ ★ ★

أجسام بالغة الطول أحاطت بها ..
عيون ضخمة مستديرة ..
نظرات ثابتة حادة ..
أذرع نحيلة ، تنتهى بأربع أصابع ، امتدت نحوها ، لتنتزع منها طفلها ..
(تامر) يتشبث بها فى رعب ، وهى تصرخ ..
« لا .. لا .. اتركوا ابنى .. اتركوه .. » ..
ثم استعادت وعيها ..
استعادته بغتة ، وحدقت فى الوجوه المحيطة بها ، والتى يطل منها القلق البالغ ، وميزت بينها وجهى (خالد) والدكتور (فائق) ، فهتفت مذعورة :
ـ (تامر) .. أين (تامر) ؟
أجابها (خالد) فى سرعة :
ـ (تامر) .. بخير .. ها هوذا .
أطل عليها وجه (تامر) ، بعينين حزينتين ، يخلوان من الدمع ، وهو يتطلع إليها فى لهفة وقلق ، فاعتدلت جالسة ، واحتضنته فى سعادة وحنان ، وهى تسأله :
ـ (تامر) .. أأنت بخير ؟ .. أأنت بخير يا (تامر) ؟
دفن الصغير جسده فى صدرها ، وسألها (خالد) مُشفقًا :

ـ أجيبينى أنت يا (نورا) :
أأنت بخير ؟
أمسكت رأسها ، ومررت أصابعها عبر خصلات شعرها الطويلة ، وهى تقول فى إرهاق :
ـ نعم .. إننى بخير .. فقط تلك الكوابيس اللعينة .
تبادل نظرة سريعة مع الدكتور (فائق) ، ثم جلس على طرف فراشها ، وسألها فى حنان :
ـ أية كوابيس يا (نورا) ؟ .. أخبرينى .
تنهدت فى توتر ، وهزت رأسها ، قائلة :
ـ إنها كوابيس بشعة ، أبشع من أن أرغب فى روايتها .
اقترب بوجهه منها ، وسألها فى خفوت :
ـ أهى حقًا مجرد كوابيس يا (نورا) ؟
انتفضت ، وحدقت فى وجهه بفزع ، ثم سألته :
ـ ماذا تعنى ؟
ربت على كتفها فى حنان ، مغمغمًا :
ـ لا شىء يا (نورا) .. لست أعنى شيئًا .
فى هذه المرة لم ينتفض جسدها للمسته ..
لم تدر لماذا ، ولكنها لم تفعل ..
ربما لأنها كانت تحتاج ، فى هذه اللحظات ، إلى شخص يحمل إليها الشعور بالحب والأمان ..
شخص تثق به ، وترتاح إلى قربه ..
ولكن فجأة استعاد ذهنها تلك المشاهد الرهيبة ..
الأجسام الطويلة ، ذات البشرة الأرجوانية الباهتة ، والعيون الضخمة الثابتة المستديرة ، ذات النظرات الحادة ، والذراع النحيلة ، ذات الأصابع الأربعة ، و ..

وانتفض جسدها مرة أخرى فى عنف ، وهى تحدّق فى وجه (خالد) فى ذعر ، فأبعد يده عن كتفها بحركة حادة ، وهو يقول فى ارتباك شديد :

ـ معذرة .. لم أكن أقصد .

ولكنها تشبّثت به ، وهتفت مذعورة :

ـ لا تدعهم يأخذون (تامر) يا (خالد) .. امنعهم .. أرجوك .

سألها فى قلق :

ـ من هم يا (نورا) ؟ .. من أولئك الذين ينبغى أن أمنعهم من هذا ؟

فتحت فمها لتجيب ، ثم تجمّدت الكلمات فى حلقها ..

حقًا .. من هؤلاء ؟! ..

ما تلك المخلوقات ، التى تراها فى كوابيسها ؟ ..

وماذا عن سؤال (خالد) ؟ ..

أهى مجرّد كوابيس حقًا ؟! ..

شملتها الحيرة طويلًا ، فشرد بصرها ، ولاذت بالصمت ، وضمّت صغيرها إلى صدرها أكثر وأكثر ، فسألها (خالد) ، والقلق فى أعماقه يتصاعد

ـ من هم يا (نورا) ؟ .. من هم ؟

نقلت بصرها بينه وبين الدكتور (فائق) ، ثم دفنت وجهها فى كفيها ، وهى تقول باكية :

ـ لست أدرى .. لست أنكر شيئًا .

عقد الدكتور (فائق) حاجبيه ، وهو يتطلع إليها فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن سألها فى هدوء :

ـ لماذا تشعرين بالخوف يا سيّدتى ؟

انتفض جسدها ، وهى تجيب :

ـ الخوف ؟! .. لماذا تظن هذا يا دكتور (فائق) ؟

هزّ رأسه فى هدوء ، وقال :

ـ ليس مجرّد ظن يا سيّدتى .. إنه يقين .. كل خلجة من خلجاتك تؤكّد أنك تعانين من خوف مبهم ، يطلّ من أعماقك لسبب ما ، ربما كنت أنت نفسك تجهلينه .

بدت شاردة بضع لحظات ، ثم أجابت :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، فأنا أرتجف من داخلى ، وأرى أمامى دائمًا صورة مخلوقات عجيبة مخيفة ، لست أذكر متى رأيتها ، وأين ؟! ..

سألها (خالد) فى اهتمام :

ـ أيبدو لك الأمر كما لو أنه توجد فى عقلك منطقة مظلمة ، تجهلين ماذا يدور فيها بالضبط ؟

هتفت فى دهشة :

ـ كأنك تصف شعورى تمامًا .

اعتدل فى قلق واضح ، وهو يغمغم :

ـ هذا ما توقعته .

سأله الدكتور (فائق) :

ـ ما الذى توقعته بالضبط ؟

أجابه (خالد) ، وهو يشير إلى (تامر) :

ـ هذا الطفل تعرّض لتجربة ما .. تجربة رهيبة ، أجراها بعضهم لغرض خفى .. و (نورا) رأت التجربة ، أو علمت بها ، ولكن أصحاب التجربة أمكنهم محو هذا من ذاكرتها تمامًا ، بوسيلة قد نعلمها أو نجهلها ، والأسلوب الوحيد لمعرفة هذا ، هو إنعاش ذاكرتها ، وإضاءة ذلك الجزء المظلم منها ، لنعلم ما حدث بالضبط

ردّدت (نورا) فى هلع :

ـ تجربة رهيبة ؟! .. (تامر) تعرّض لتجربة رهيبة ؟! ..

يا إلهى ! .. لماذا يفعلون به هذا ؟

رمقها الدكتور (فائق) بنظرة جانبية ، قبل أن يقول لـ (خالد) :

ـ رواية عجيبة يا (خالد) ، تبدو لى أشبه بأفلام الخيال العلمى الأمريكية ، على الرغم من توافقها مع الأحداث .. ولكن دعنا نفترض أنها حقيقة ، وأن عقل السيّدة (نورا) يحوى منطقة مظلمة ، أغشى أحدهم ذاكرتها فيها ، ومحا منها تفاصيل تلك التجربة ، التى تفترض حدوثها ، فكيف يمكننا أن نضىء هذا الجزء المظلم ، ونخرج ما تختزنه فيه ؟

اعتدل (خالد) ، وهو يقول :

ـ هناك وسيلة علمية واحدة ، يمكنها التوصل إلى هذا فى سرعة .

سأله فى اهتمام :

ـ ما هى ؟

تطلّع (خالد) إلى (نورا) ، وهو يجيب :

ـ التنويم .. التنويم المغناطيسى .

وارتجف قلب (نورا) فى قوة .

٦ ـ الحاجز ..

تطلّع الدكتور (صديق) ، الطبيب النفسى الشهير ، إلى عينى (نورا) ، وهو يقول فى صوت هادىء عميق :

ـ لا تقلقى .. حاولى تحرير رأسك من كل الأفكار والمخاوف ، وتطلّعى إلى عينىّ مباشرة .

بدت لها عيناه عميقتين ، ثاقبتين ، وهى تتطلّع إليهما ، وتغمغم :

ـ (تامر) .. أين (تامر) ؟

أجابها فى عمق :

ـ (تامر) يقف خلفى ، مع الدكتور (خالد) .. حرّرى رأسك من قلقك عليه ، وركّزى تفكيرك كله فى عينىّ .

راحت عيناه تزدادان عمقًا ، وهى تغوص داخلهما فى بطء ، وصوته يبلغ رأسها من بعيد :

ـ دعى كل عضلاتك تسترخى .. استسلمى للنوم ..

تثاقل جفناها ، وتساقطا فى إرهاق ، وخُيّل إليها أنها تغوص فى أعماق بئر سحيقة ، وصوته يأتى من بعيد :

ـ عودى بذاكرتك إلى الخلف .. إلى ذلك اليوم الذى بدأت فيه التجربة .. وببطء .

تفكّكت أوصالها مرة أخرى ، واندفعت خلاياها عبر أنبوب مظلم رهيب ..

، عودى إلى التجربة .. ،

تردّد الصوت فى أعماقها ، مع صدى مزدوج ، وبدت العينان أمامها ضخمة ، واسعة ، مستديرة ، ثابتة ، و ..

وصرخت فجأة :

ـ لا .. لا ..

تطلّع إليها (تامر) فى قلق ، وهى تلوّح بيديها صارخة :

ـ ابتعدوا عنى .. لا تفعلوا بى هذا .. لا .

بدا القلق فى وجه الدكتور (صدّيق) وصوته ، وهو يقول :

ـ اهدئى .. لا يوجد ما يخيف .

صرخت فى رعب أكثر :

ـ لا .. اتركونى .. اتركونى .

راحت تشهق فى قوة وعنف ، وكأنها تجاهد لالتقاط الهواء ، فهتف (خالد) :

ـ ماذا أصابها ؟

أجابه الدكتور (صدّيق) فى ارتباك واضطراب :

ـ لست أدرى .. يبدو أننا أصبنا نقطة محصّنة من عقلها .

تصاعدت شهقاتها ، واتسعت عيناها فى رعب ، وتراجع (تامر) مذعورًا ، فى حين هتف (خالد) :

ـ لا تتركها هكذا يا (صدّيق) .. دعها تستيقظ يا رجل .. أسرع .

ـ اضطرب (صدّيق) ، وهو يفرقع سبّابته وإبهامه أمام عينى (نورا) ، هاتفًا :

ـ استيقظى .. هيا .. عودى إلى الواقع .

ولكن شهقاتها ازدادت حدة ، وكادت عيناها تجحظان ، وهى تمسك عنقها بكفيها ، وكأن أحدًا يخنقها بلا رحمة ، فصاح (خالد) :

ـ هيا يا(نورا) .. استيقظى .. استيقظى .

ولكن هيهات ..

لقد تسللت زرقة مخيفة إلى وجهها ، وخفتت شهقاتها ، كما لو أنها ستسلم الروح بعد قليل ، وصرخ (خالد) فى يأس :

ـ لا يا (نورا) .. قاومى .. قاومى .

تجمّدت نظراتها ، وانخفض معدّل تنفسها بغتة ، و ..

وفجأة ظهر (تامر) ..

عبر بين الطبيبين بغتة ، وأمسك كفى أمه فى قوة ، وهو يتطلّع إليها بنظرة عجيبة ..

وفجأة أيضًا ، هدأ كل شىء ..

اختفت الزرقة ، وهدأت (نورا) ، وعاد إليها تنفسها الطبيعى ، وتطلّعت إلى ابنها بنظرة عجيبة ، تحمل شيئًا من الدهشة والخوف ، فى حين ارتسمت على شفتيه الصغيرتين ابتسامة فرح ، فجّرت الدهشة فى عينى (خالد) و (صدّيق) ، قبل أن يهتف هذا الأخير :

ـ كيف فعلتها أيها الصغير ؟

تنهّد (خالد) ، وقال :

ـ هذا ما نسعى لتنويم أمه من أجله .. أن نعرف كيف يفعلها هذا الصغير .

حملت (نورا) ابنها ، وتطلّعت إليه فى حيرة وقلق ، قبل أن تضمه إلى

صدرها فى قوة ، فسألها (خالد) :

ـ ماذا حدث ؟

تطلّعت إليه فى خوف ، قبل أن تجيب :

ـ شىء رهيب .. لقد أحاطوا بى ، وكادوا يخنقوننى ، لولا أن ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تتطلّع إلى (تامر) فى حيرة ، فسألها (صدّيق) فى شغف :

ـ لولا ماذا ؟

تطلّعت إليه فى حيرة ، وهى تقول :

ـ لولا أن ظهر (تامر) فجأة .

ضمّته إلى صدرها أكثر ، وتابعت بكلمات تتقاطر منها الحيرة :

ـ ومع ظهوره تراجع الجميع ، وانحنوا له فى تبجيل ، فأشار هو إليهم فى عظمة وصرامة ، وأمسك يدى ، وقادنى بينهم ، دون أن يجرؤ أحدهم على اعتراضى ، حتى خرجنا .

سألها الدكتور (صدّيق) ، وفكه يتدلّى فى ذهول :

ـ خرجتما من ماذا ؟

أجابته فى سرعة :

ـ من الـ ..

بترت عبارتها بغتة ، وارتسمت حيرة شديدة فى عينيها ، قبل أن تقول :

ـ لست أدرى .. لقد نسيت كل شىء بغتة .

حدّق الدكتور (صدّيق) فى وجهها مرة أخرى فى ذهول ، ثم تراجع فى مقعده ، والتفت إلى الدكتور (خالد) بنظرة حائرة ، جعلت هذا الأخير يقول فى رفق ، وهو يعاون (نورا) على مغادرة مقعدها :

ـ حسنًا يا (نورا) .. لقد انتهى كل شىء على أية حال .. هل يمكنك

الانتظار خارجًا مع (تامر) ، حتى أتبادل مع الدكتور (صدّيق) حديثًا قصيرًا .

تطلّعت إليه بعينين حائرتين ، خائفتين ، قلقتين ، ثم أومأت برأسها متمتمة :

ـ سننتظرك .

منحها ابتسامة مشجّعة ، قبل أن تغادر الحجرة ، ثم التفت إلى الدكتور (صدّيق) ، يسأله فى جدية :

ـ ما رأيك ؟

هزّ (صدّيق) رأسه فى شدة ، قائلًا :

ـ إنها مجنونة .

هتف (خالد) فى دهشة :

ـ مجنونة ؟! .. أى قول هذا يا رجل .. إننى أسألك عن رأيك العلمى .

لوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ ألم تسمع ما قالته ؟ .. إنها امرأة مصابة بالهوس ! .. خيالها خصب للغاية ، ولكنه يفتقر إلى المنطقية .

قال (خالد) فى صرامة :

ـ لو أن الفكرة التى تدور فى رأسى صحيحة ، فهى انسانة واقعية للغاية ، وقصتها منطقية تمامًا .

حدّق (صدّيق) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ أية فكرة هذه ، التى تجعل هذا التخريف واقعيًا ومنطقيًا ؟!

تنهّد (خالد) ، وهو يتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ هذه القضية يختفى خلفها قوم من كوكب آخر .

هتف (صدّيق) :

ـ ماذا ؟ .. هل انتقلت العدوى إليك ؟ .. أخشى أن تخبرنى أن هذه السيدة قد تم اختطافها فى طبق طائر ، و ..

قاطعه (خالد) فى صرامة :

ـ هذا ما أقصده بالضبط .

عاد (صديق) يحدق فى وجهه ، قبل أن يهتف مستنكرا :

ـ أهذا هو الرأى العلمى ، الذى تتحدث عنه ؟

أجابه فى حزم :

ـ بالتأكيد .. كل الشواهد والظواهر تقود إلى هذا الافتراض ، على الرغم من غرابته ، ومن عدم تصديقك له ، فهناك ذلك الجسم الغامض ، الذى يستقر فى عقل (تامر) ، والذى لم نر مثيلا له من قبل ، وقدرة هذا الطفل على احتمال البقاء دون تنفس لفترات طويلة ، وما حدث اليوم لـ (نورا) .. ورد فعل (تامر) .. ألا يكفيك كل هذا ، و ..

قال (صديق) معترضا :

ـ لسنا نعرف طبيعة ذلك الجسم بعد ، وربما كان مجرد أداة جراحية مفقودة ، كما يفترض الدكتور (فانق) ، والبقاء دون تنفس هذا أمر وارد ، يفعله فقراء الهنود كل يوم ، فى أسواق (نيودلهى)(*) .. أما بالنسبة لما حدث اليوم ، فليس هذا هو التفسير الوحيد له .

سأله (خالد) فى حدة :

ـ ألديك تفسير منطقى آخر ؟

هتف (صديق) :

(*) يستطيع لاعبو اليوجا فى (الهند) ، كتمان تنفسهم لمدد طويلة ، قد تبلغ ـ فى بعض الأحيان ـ يوما كاملا ، يتم فيه دفنهم تحت الأرض ، ثم يعودون إلى التنفس بعد إخراجهم بعدة دقائق .

ـ بالتأكيد .. ربما اختلق عقلها الباطن هذه القصة كلها ، وعندما أمسك ابنها كفيها ، تلقى مخها هذا الأمر ، وحوّره فى عقلها الباطن إلى هذا المشهد العجيب ، الذى يسيطر فيه ابنها على الموقف ، وينقذها من بين أيديهم .

سأله (خالد) فى غضب :

ـ وهل يفتعل عقلها الباطن عملية اختناقها ؟

أجابه فى حزم :

ـ العقل الباطن يمكنه أن يفعل أكثر من هذا .

تطلّع كل منهما إلى الآخر فى صمت ، ثم تنهّد (خالد) ، وقال :

ـ لا بأس .. ما دام هذا هو رأيك ، ولكن .. هل يمكننا إعادة التجربة ، مع احتياطات أمن مثلا ؟

هزّ (صديق) رأسه نفيا ، وقال :

ـ ليس قبل علاج نفسى طويل لها .

أومأ (خالد) برأسه متفهّما ، وقال :

ـ لا بأس .. أشكر لك تعاونك على أية حال .

غادر الحجرة إلى الممر الخارجى ، وأجبر شفتيه على رسم ابتسامة ، وهو يتطلّع إلى (نورا) و (تامر) ، فنهضت (نورا) تسأله فى قلق :

ـ ماذا قال ؟

هزّ كتفيه ، قائلا :

ـ لم يتوصّل إلى شىء محدود بعد .

كانت تعلم أنه يخفى شيئا ما ، ولكنها لم تحاول سؤاله عما يخفيه ، وكأنما تخشى معرفة مالديه ، فخفضت وجهها أرضا ، وغمغمت :

ـ هكذا ؟!

شعر بالضيق لموقفه ، وحاول أن يبدل الحديث ، فسألها :

ـ هل ستعودين إلى منزلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فأضاف :

ـ لقد حضرنا إلى هنا بسيارتى ، فهل تسمحين لى بتوصيلك هذه المرة إلى منزلك .

أدهشها أنها لم ترفض هذه المرة ..

كانت تحتاج إلى وجوده ..

إلى شعورها بالأمن والأمان إلى جواره ..

وفى بساطة أدهشته ، تركته يوصلها مع (تامر) إلى منزلها ..

وفى الطريق سألها فى حذر :

ـ أما زلت ترفضين إجراء الاختبارات لـ (تامر) ؟

أجابته فى حزم :

ـ كفاه اختبارات .

صمت لحظة ، ثم قال :

ـ ولكن هناك أمر حتمى ، ليس من الحكمة رفضه .

سألته :

ـ ما هو ؟

أجابها فى خفوت :

ـ ذلك الشىء فى رأسه .

قالت متوترة :

ـ ماذا عنه ؟

أجاب فى حسم :

ـ لابد من إخراجه .

ـ هتفت مستنكرة :

ـ بعملية جراحية ؟!

سألها حازمًا :

ـ ألديك وسيلة أخرى ؟!

ضمّت (تامر) إليها فى خوف ، وقالت :

ـ لا ، ولكننى لا أقبل تعريضه لهذه المخاطرة .

قال فى حزم :

ـ لست أظنك تملكين الخيار يا (نورا) ، فبقاء هذا الشىء فى رأسه ، قد يعرّضه لأكبر خطر ممكن .

سألته مرتجفة :

ـ أى خطر هذا ؟

أجاب فى صرامة ، لم يدر كيف وجد الشجاعة لاستخدامها :

ـ الموت يا (نورا) .

وهوى قلبها بين ضلوعها من جديد .

٧ ـ العملية ..

« عملية جراحية لـ (تامر) ؟! »

نطقها الحاج (رشدى) فى جزع شديد ، وضربت زوجته صدرها براحتها ، هاتفة فى ذعر :

ـ عملية جراحية فى المخ ؟! .. ماذا تقول يا (خالد) ؟ .. كيف تفعل هذا بـ (تامر) ؟

أجابهما (خالد) فى حزم :

ـ إننى أسعى لصالحه يا زوجة خالى .. لقد أخبرتكما بحالة (تامر) بالضبط ، وبخطورة وجود جسمٍ غريب داخل جمجمته ، وعند مركز التنفس بالذات ، فالطفل سينمو ، ويكبر ، ويزداد حجم مخه ، فى حين سيبقى ذلك الجسم محافظًا على حجمه ، وبالتالى سينغرس تدريجيًا فى خلايا المخ ، مما قد يسبّب الوفاة لـ (تامر) ، أو يتسبّب فى إصابته بعجز تام .

صاحت الأم :

ـ لا تنطقها يا (خالد) .. استعذ بالله يا ولدى ، وبعدًا للشر عن (تامر) .

أجاب بلهجة أشدّ حزمًا :

ـ ليس هذا رأيى يا زوجة خالى .. إنه رأى العلم .

لوّحت بكفها ، هاتفة :

ـ وما الذى يعرفه العلم ؟

أجابها الحاج (رشدى) :

ـ الكثير يا حاجة .. الكثير .

وزفر محاولا تبديد توتره ، قبل أن يسأل (خالد) :

ـ أأنت واثق من ضرورة إجراء الجراحة يا ولدى ؟

أجابه (خالد) :

ـ إنها حتمية يا خالى .

نقل الأب بصره إلى (نورا) ، التى انزوت جانبًا ، وهى تضمّ صغيرها إلى صدرها فى قوة ، وسألها :

ـ ما رأيك يا بنيتى ؟

أجابته فى عصبية :

ـ لن أترك (تامر) لهم .

هزّ (خالد) رأسه ، وقال فى ضيق :

ـ لقد شرحت لك الأمر يا (نورا) .

قالت فى حدة :

ـ أحتاج إلى رأى طبيب آخر .

فجّرت عبارتها فى أعماقه ضيقًا بلا حدود ، فقال وهو يشيح بوجهه عنها :

ـ هذا من حقك .

قالت فى عصبية :

ـ لن أترككم تعبثون بمخ ابنى ، إلا للضرورة القصوى .

أجابها فى ضيق :

ـ لسنا نعبث بمخ أحد يا (نورا) .. لم تعد جراحات المخ كالسابق ، فكل شىء يتم تحديده قبل الإجراء الفعلى للعملية الجراحية .. صور المخ ، ورسوم الأشعة المقطعية ، والاختبارات الأخرى ، بحيث تصبح العملية فى حد ذاتها مجرّد خطوة فى برنامج كبير ، ولست أبالغ لو قلت أنها ليست أصعب الخطوات(*) .

قالت فى عناد :

ـ ولو .. أحتاج إلى رأى طبيب آخر .

زفر فى توتر ، وقال :

ـ حسنًا .. هل تقترحين طبيبًا بذاته ؟

أجابته فى حزم :

ـ نعم .

سألها :

ـ من هو ؟

أدهشه الجواب وأثار ارتياحه فى الوقت ذاته ، عندما قالت :

ـ الدكتور (فائق) .

وأدرك أن العملية ستجرى لـ (تامر) ، بإذن الله ..

★ ★ ★

كان يومًا لا مثيل له ، فى حياة (نورا) ..

يوم لم تشعر بمثل قلقه ورعبه ، فى عمرها كله ..

يوم إجراء العملية الجراحية لـ (تامر) ..

كانت تجلس مع والديها ، خارج حجرة العمليات الجراحية ، التى تم نقل

(★) حقيقة .

(تامر) إليها منذ لحظات ، تفرك كفيها فى عصبية وقلق بالغين ، ووالدتها تبكى فى حرارة ، فى حين راح والدها يصلى ، ويدعو الله (سبحانه وتعالى) أن تتم العملية بنجاح ..

وفى الداخل وقف الدكتور (فائق) ، و (خالد) ، وحولهما عدد من الأطباء المعاونين وفتيات التمريض ..

وكان كل شىء محسوبًا بمنتهى الدقة ، كما قال (خالد) ..

موضع الجسم الغريب ..

المكان المناسب لفتح الجمجمة ..

الأدوات الأفضل ..

كل شىء ..

وفى هدوء واثق ، تطلّع الدكتور (فائق) إلى الشاشة أمامه ، وهو يقول :

ـ سننجح بإذن الله ورعايته يا رجال .

قالها وتناول أدواته ، وبدأ يثقب جمجمة (تامر) ثقبًا دقيقًا ، فى موضع تم اختياره فى عناية بالغة وفائقة ، ولعمق مدروس ، ثم التقط أدواته ، وبدأ يدخلها عبر الثقب الدقيق ، وهو يقول :

ـ لقد تقدّمت جراحات المخ بالفعل يا رجال ، فاليوم نكتفى بفتحة بقطر نصف السنتيمتر ، وبمعاونة رسّام المخ المقطعى ، بحيث ندرك جيدًا ما نفعله ، دون الحاجة إلى نزع نصف جمجمة المريض .

لم يجب أحدهم ، أو يعلّق بحرف واحد على حديثه ، وهم يتابعون أصابعه الماهرة فى اهتمام بالغ ، فأضاف وهو يحرّك أدواته فى حنكة :

ـ ها نحن أولاء نقترب من ذلك الجسم الغريب ، وسنلتقطه فى بساطة ، و ..

وفجأة بدأ جسم (تامر) يرتجف فى قوة ، فسحب الدكتور (فائق)

أدواته فى سرعة ، وتطلّع إليه فى دهشة ، ثم رمق طبيب التخدير بنظرة غاضبة ، ولكن هذا الأخير قال فى ارتباك :

ـ إنه مخدّر بالفعل ، وأجهزتى تقول هذا .

بدت الدهشة على وجه الدكتور (فائق) ، وعاد يدخل أدواته مرة أخرى ، ولم يكد يلمس ذلك الجسم الغريب ، حتى عاد جسد (تامر) يرتجف فى عنف ، وانطلق رسّام المخ الكهربى ، المتصل برأسه ، يرسم خطوطًا ومنحنيات عنيفة ، فهتف (خالد) :

ـ توقّف يا دكتور (فائق) .. أخرج الأدوات .

ولكن الدكتور (فائق) واصل عمله فى عناد ، فتضاعفت قوة ارتجاف جسد (تامر) ، وبدأت ظاهرة أخرى عجيبة ، ومخيفة .

لقد اهتزّت كل الأدوات الموجودة فى حجرة العمليات ، وراحت ترتجف فى شدة ، ثم تساقط صوان أدوات ضخم ، وأطلق دويًا هائلًا ، جعل

(خالد) يصرخ فى انفعال :

ـ كفى يا دكتور (فائق) .. كفى ..

وهنا فقط سحب الدكتور (فائق) أدواته بحركة حادة ، وتراجع فى دهشة وتوتر بالغين ..

وفى الخارج صك الدوىّ مسامع (نورا) ووالديها ، فاندفعت نحو حجرة العمليات الجراحية صارخة :

ـ ولدى .. (تامر) .. (تامر)

منعها والدها من اقتحام الحجرة ، وهو يهتف بها :

ـ لا يا ابنتى .. لا تفعلى هذا .. ستعرّضين حياة ابنك للخطر لو فعلت .

تراجعت خوفًا على حياة ابنها ، وجسدها كله يرتجف فى قوة ، وانهمرت الدموع من عينيها غزيرة ، وشاركتها أمها البكاء ، فى حين راح الأب يتلو بعض آيات القرآن الكريم فى صوت خافت ..

وفى الداخل هدأ كل شىء بغتة ، عندما انتزع الدكتور (فائق) أدواته من مخ (تامر) ، وتراجع مذعورًا ..

توقّف ارتجاف الأدوات ..

وتوقّف جسد (تامر) ..

وران صمت رهيب على المكان ..

صمت دام ثوانى معدودة ، بدأت أشبه بدهر كامل ، قبل أن يقول (خالد) فى ذهول :

ـ إنهم يمنعوننا من انتزاعه .

همهم طبيب آخر فى دهشة :

ـ من هؤلاء ؟

وهزّ الدكتور (فائق) رأسه ، وهو يقول :

ـ ما أعجب هذا !

ثم استدار وهو يشير إلى الممرضة ، لتجفف بعض العرق البارد ، الذى سال على جبينه :

ـ إننا نواجه شيئًا مجهولًا بالفعل .

تمتمت إحدى الممرضات فى ذعر :

ـ أهو زلزال ، ذلك الذى أصاب المكان ؟

أشار الدكتور (فائق) إلى رأس (تامر) ، وقال فى توتر :

ـ نعم .. زلزال نشأ من هنا .

حدق الجميع فى رأس (تامر) فى حيرة ودهشة ، فى حين غمغم (خالد) فى انفعال :

ـ (سيكوكينيزيس)(*)

أومأ الدكتور (فائق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. ويبدو أننا قد أطلقنا مارذا من عقاله ، فى عقل هذا الصغير .

وفجأة هتف طبيب التخدير فى ذعر :

ـ ياإلهى ! .. ذلك الصغير .. إنه ..

سأله (خالد) فى ذعر :

ـ ماذا أصابه ؟

(*) (سيكوكينيزيس) ـ كلمة تتكون من مقطعين .. (سيكو) ، وتعنى شىء نفسى ، (كينيزيس) ، وتعنى الحركة .. والكلمة فى مجملها تعنى تحريك الأشياء بالتأثير العقلى ، أو النفسى ، ودون لمسها بالأيدى ، وهذه القوة واحدة من القوى المعروفة ، فى علم ما فوق الطبيعيات والنفسيات ، وهناك حالات مسجلة ، لبعض من يمتلكونها بالفعل .

شحب وجه الطبيب فى شدة ، وهو يردد فى هلع :

ـ لقد .. لقد ..

وانهار مستطردًا :

ـ لقد مات .

واتسعت عينا (خالد) فى ارتياع .

٨ ـ المارد ..

انهمرت دموع (نورا) كالسيل ، وراحت تنوح على نحو يمزق القلوب ، وهى تقول فى حزن عارم رهيب :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أشعر به .

شاركتها أمها البكاء الحار ، فى حين راح والدها يتلو آيات قرآنية فى صوت خافت ، لا تكاد تتبين منه سوى اختلاجة شفتيه ، وبدا (خالد) شديد الارتباك ، وهو يقول :

ـ إنه ليس خطأ أحد .. صدقينى يا (نورا) .. كان كل شىء يسير على ما يرام .. عندما حدث هذا .

لم يبد أنها سمعته ، وهى ترتد بحزنها الشديد :

ـ ما كان ينبغى أن أوافق على هذا .. ما كان ينبغى أبدا .

تدخل الدكتور (فائق) ، قائلا :

ـ على العكس يا سيدتى .. لقد فعلنا ما تحتم علينا فعله ، والأمور لم تبلغ هذا الحد من السوء .

صاحت به :

ـ لم تبلغ ماذا ؟ .. وما الحد الذى كنت تتوقع لها أن تبلغه ؟

أشار إلى ابنها ، الراقد على الفراش المجاور لها ، وهو يقول فى حزم :

ـ أن يلقى مصرعه فعليًا .

شهقت أمها ، وهتفت بسرعة ، من وسط دموعها ، وهى تتحنى على الصغير الساكن ، وتحتضنه فى لهفة :

ـ بعدًا للشر .

أما (نورا) ، فقالت فى عدوانية :

ـ وهل نجا من هذا ؟ .. ها هوذا يرقد أمامك ، فى غيبوبة كاملة .

أجابها الدكتور (فائق) :

ـ سيتجاوزها يا سيدتى .. سيتجاوزها بإذن الله (سبحانه وتعالى) .. صدقينى ، وخذيها كلمة من خبير ، فلقد شاهدت عشرات الحالات المشابهة من قبل ، وغيبوبتهم هذه لا تتجاوز الأيام الثلاثة ، وبعدها يستعيدون وعيهم وصحتهم كاملين .

ثم زفر فى قوة ، وهز رأسه ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكننى لن أنسى أبدًا ذلك الموقف الرهيب ، فى حجرة العمليات الجراحية ، عندما أعلن طبيب التخدير أن (تامر) قد توقف عن التنفس تمامًا .. لحظتها تصورنا جميعًا أنه قد لقى مصرعه ، لولا أن رسام المخ الكهربى ، وجهاز قياس نبضات القلب ، كانا يعلنان فى وضوح أنه على قيد الحياة .

غمغم الحاج (رشدى) :

ـ ربما كان طبيب التخدير يفتقر إلى الخبرة اللازمة .

هز الدكتور (فائق) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ على العكس .. إنه واحد من أكبر وأبرع أطباء التخدير هنا ، ولكن (تامر) ليس طفلًا عاديًا ، فهو يمتلك مقدرة عجيبة على كتمان أنفاسه لفترة طويلة للغاية ، وربما كان هذا بسبب ذلك الشىء ، الملتصق بمركز تنفسه ، والذى عجزنا تمامًا عن انتزاعه !

التقى حاجبا الجد ، وهو يستعيد ذكرى ذلك اليوم ، الذى عثر فيه على (تامر) هادئًا مبتسمًا ، داخل الخزانة الحديدية ، وتمتم :

ـ بالتأكيد .

وهنا قال (خالد) فى اهتمام :

ـ لا تنس قدرته على احتمال الضغط يا سيّدى ، فقد غاص إلى عمق ستة أمتار ، دون أن يعانى جسده إصابات واضحة .

أومأ الدكتور (فائق) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

صمت لحظة ، بدا خلالها شاردًا مفكرًا فى عمق ، قبل أن يضيف :

ـ من المؤكد أن هذه الحالة تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ، و ..

قاطعته (نورا) هاتفة :

ـ بحث ودراسة ؟! .. لا يا سيّدى الطبيب .. اسمح لى .. لن يكون ابنى أبدًا فأر تجارب ، للبحث والدراسة ، مهما كانت الأسباب .. هذا لو استعاد وعيه وصحته ، كما تدّعون .

قال الدكتور (فائق) ، محاولًا تهدئتها :

ـ صدقينى يا سيّدتى .. لن يمضى يوم أو يومان ، إلا و ..

بتر عبارته بغتة ، وحدّق فى فراش (تامر) فى دهشة بالغة ، جعلت الجميع يلتفتون إلى حيث ينظر ، مع صيحة الجدة الفرحة :

ـ (تامر) .. حمدًا لله على سلامتك يا ولدى .

كان الموقف يدعو للدهشة بالفعل ، فعلى الرغم من الأربطة والضمادات ، التى تحيط برأسه حتى جبهته ، إلا أن (تامر) بدا فى أوج صحته وعافيته ، قبل مرور ساعة واحدة على خروجه من حجرة العمليات الجراحية ، وهو يجلس فى فراشه ، ويبتسم فى وجوه الجميع ابتسامة بريئة سعيدة ، جعلت (نورا) تنقض عليه ، وتحتويه فى صدرها ، وهى تهتف :

ـ (تامر) .. ولدى .. حمدًا لله .. حمدًا لله ..

تنهّد (خالد) فى ارتياح ، وسالت دمعة حارة من عينى الحاج

(رشدى) فى حين بقى الدكتور (فائق) يتطلّع إلى الطفل فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

ـ مدهش .. كان المفروض أن ..

قاطعه (خالد) :

ـ لقد اتفقنا على أن (تامر) ليس طفلًا طبيعيًا يا سيّدى .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه الدكتور (فائق) ، وبقيت شفتاه منفرجتين ، وكأنه سيواصل حديثه ، ثم لم يلبث أن تمتم :

ـ بالتأكيد .. بالتأكيد .

ثم عقد حاجبيه ، وراح يتابع الأسرة الصغيرة ، وهى تحيط بالصغير ، وتغمره بحبها وحنانها وقبلاتها ، حتى أشار (تامر) إلى فمه ، وهو يواجه أمه ، فالتفتت هى إلى الدكتور (فائق) تسأله فى لهفة :

ـ إنه يشعر بالعطش .. أيمكنه أن يشرب الآن ؟

أجابها فى حماس عجيب :

ـ بالطبع .

ثم التقط زجاجة المياة ، وصبّ بعضًا منها فى كوب صغير ، هم بالتقدم به نحو (تامر) ، إلا أنه توقّف بغتة ، وبدا وكأن فكرة ما قد طرأت على رأسه ، قبل أن يبتسم لـ (تامر) ، قائلًا :

ـ هل تريد كوب الماء هذا حقًا يا (تامر) ؟

تطلّع إليه الجميع فى دهشة ، وقالت (نورا) فى عصبية :

ـ لو لم يكن يريده لما طلبه .

تجاهلها الدكتور (فائق) تمامًا ، وهو يقول :

ـ هل تريده يا (تامر) ؟

أومأ الصغير برأسه إيجابًا ، وبلّل شفتيه بلسانه ، وكأنما يعلن عطشه ،

واحتياجه إلى الماء ، فابتسم الدكتور (فانق) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ خذه إذن يا (تامر) .

نهضت (نورا) ، قائلة فى حدة :

ـ دكتور (فانق) .. لست أفهم ما الذى ..

قاطعها بإشارة صارمة حازمة ، قبل أن يكرّر :

ـ خذه يا (تامر) ، لو أنك تريده حقًا .

ارتسمت الحيرة أكثر على الوجوه ، وبدا (تامر) هادئًا ، يتطلّع إلى الدكتور (فانق) فى براءة وبساطة ، ثم لم يلبث أن رفع يده ، وفتح أصابعه ، وكأنه يهمّ بالتقاط كوب الماء ، من بين أصابع الدكتور (فانق) ، الذى يقف على بعد ثلاثة أمتار منه ..

وفجأة ، ارتجف الكوب بين أصابع الدكتور (فانق) ، الذى شارك الكوب ارتجافته ، قبل أن يفتح أصابعه عن آخرها بغتة ، فهتف (خالد) :

ـ الكوب سيـ ..

انحبست الكلمة فى حلقه ، واتسعت عيناه مع عيون الجميع ، فى ذهول شديد ، وشهقت الجدة ، وهى تتراجع إلى الخلف ، عندما راح الكوب يسبح فى الهواء فى بطء ، متجهًا نحو (تامر) ، الذى بدا هادئًا واثقًا ، ينتظر الكوب ، حتى بلغ يده ، فأطبق عليه أصابعه الصغيرة ، ورفعه إلى شفتيه ، وراح يشرب فى بساطة ..

وتألّقت عينا الدكتور (فانق) فى ظفر ، فى حين هتف (خالد) فى انفعال :

ـ ولكنه .. ولكنه ..

أجاب الدكتور (فانق) ، فى لهجة منتشية :

ـ (سيكوكينيزيس) .. تحريك الأشياء عن بعد .. ألم أقل لك إننا قد أطلقنا المارد ، من قمقمه فى عقل الصبى ؟!

هتف الحاج (رشدى) فى انبهار :

ـ أى قمقم وأى مارد ؟ .. عمّ تتحدثان بالله عليكما ؟

ابتسم الدكتور (فانق) فى ارتياح ، وقال :

ـ سأشرح لك الأمر يا حاج .. سأشرحه لكم جميعًا ، ولكن ينبغى أن تعلموا أنكم تشاهدون الآن ظاهرة جديدة .

وتألّقت عيناه ، وهو يستطرد :

ـ ظاهرة خارقة ..

★ ★ ★

ـ لا يا دكتور (فانق) .. لست أوافق على هذا قط .. ،

قالها (خالد) فى حدة شديدة ، وهو يواجه الدكتور (فانق) ، الذى تطلّع إليه فى هدوء شديد ، من خلف مكتبه الضخم ، وقال :

ـ خطأ يا (خالد) .. خطأ .. لابد أن توافق على هذا ، فالطفل حقًا ظاهرة خارقة ، ولابد من أن نبلغ الصحافة .. إنه خبر يهم المجتمع كله .

هتف (خالد) :

ـ مستحيل يا سيّدى ! .. إنه مجرّد طفل ، قد لا يدرك حتى أنه يختلف عن الآخرين ، وليس من المناسب له نفسيًا ، أن يحيط به رجال الصحافة ، والباحثون ، وكل من يهمه الأمر .. (نورا) نفسها لن تحتمل هذا .

ابتسم الدكتور (فانق) فى خبث ، وقال :

ـ وانت تخشى إغضابها ، أليس كذلك ؟

قال (خالد) فى غضب :

ـ ليس هذا هو السبب يا سيّدى ، وإنما (تامر) نفسه هو من أقلق بشأنه .. لقد تعرّض ذلك المسكين لتجربة رهيبة ، أجرتها عليه مخلوقات فضائية لسبب مجهول ، وربما ..

قاطعه الدكتور (فانق) مستهجنًا :

ـ مخلوقات فضائية ؟! .. لا تقل لى إنك تصدّق فكرة الأطباق الطائرة هذه .. لسنا فى (شيكاغو) أو (نيويورك) ، حتى تهبط الأطباق الطائرة ، وتختطف أحدنا ، لتجرى عليه تجاربها .

قال (خالد) فى حدة :

ـ ومن قال إن الأطباق الطائرة تنتقى (أمريكا) دون غيرها ؟ .. ألم يهبط طبق طائر ذات مرة فى (الكويت) نفسها ، منذ سنوات قلائل(*) ؟ .. لماذا نفترض دائمًا أن هذا يحدث للآخرين فقط .

لوّح الدكتور (فائق) بكفه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ حسنًا .. لا تغضب هكذا .. كنت أداعبك فحسب .

هتف (خالد) فى دهشة :

ـ تداعبنى ؟!

لوّح الدكتور (فائق) بكفه ، وهو يقول فى نشوة عجيبة :

ـ بالتأكيد .. دعك من هذا الآن ، وحاول أن تتصوّر معى ذلك الكم الهائل من المعلومات ، الذى يمكننا الحصول عليه ، لو توصّلنا فقط إلى وسيلة مناسبة ، لاستخراج كل ما يختزنه عقل هذا الطفل .. إنه معجزة .. معجزة طبية وعلمية ، على أى مقياس .. أرأيت كيف استعاد وعيه بتلك السرعة المذهلة ؟! .. أرأيت حتى كيف تعافى من آثار الجراحة تمامًا ، فى ثلاثة أيام فحسب ؟! ..

صدقنى يا (خالد) .. هذا الطفل فرصة نادرة ، لا يمكن أن تتوافر للعالم ، أكثر من مرة واحدة .

قال (خالد) فى حدة :

(*) حقيقة ، وقد هبط الطبق الطائر عند محطة توليد كهرباء ، وبقى بعض الوقت ، ليمتصّ الطاقة ، ثم رحل ، وشاهده عدد كبير من عمال ومهندسى المحطة ، كما نشرت الصحف الخبر فى حينه .

ـ وهو بالنسبة لـ (نورا) طفلها الوحيد ، من زوج راحل ، لن يتكرّر أكثر من مرة واحدة .

واندفع مغادرًا المكتب فى حنق ، تاركًا الدكتور (فائق) ، الذى هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ خطأ .

ونهض من خلف مكتبه ، وراح يسير فى حجرة مكتبه جيئة وذهابًا ، وهو يفكّر فى عمق ، ويحدّث نفسه ، قائلًا :

ـ هناك وسيلة حتمًا .. هناك وسيلة لاستخراج ما يختزنه عقل الطفل ، ومعرفة ما يخفيه من أسرار .. توجد وسيلة حتمًا ..

فجأة ، ارتسمت صورة ما فى رأسه ، فتألّقت عيناه فى شدة ، وبرقتا فى ظفر ، وهو يقول :

ـ لقد توصّلت إليها .. توصلت إلى الوسيلة .

ورقص قلبه طربًا ، وهو يندفع خارج مكتبه ، ويعدو عبر الممر الطويل بالمستشفى إلى حجرة الصغير ..

حجرة (تامر) ..

★ ★ ★

تضاعف توتر (خالد) ، وهو يقف فى ممر المستشفى ، خارج حجرة (تامر) ، وبدا شديد العصبية ، على الرغم من وجود (نورا) ، التى سألته فى قلق :

ـ ماذا بك ؟!

تطلّع من نافذة الممر إلى السماء المظلمة ، ذات النجوم اللامعة ، وظلّ صامتًا لحظات قبل أن يقول فى ضيق متوتر :

ـ لماذا أراد الدكتور (فائق) أن يلتقى بـ (تامر) وحده ؟

قالت فى دهشة :

ـ هل تسألنى ؟! .. المفروض أنك أنت الطبيب ، وأنت الذى يعلم لماذا يلتقى الطبيب بمريضه وحدهما !

غمغم محنقًا :

ـ بالتأكيد .

كان يشعر بالقلق ، منذ دخل الدكتور (فائق) إلى حجرة (تامر) ، وطلب من الجميع الخروج ، ليبقى فيها معه وحده ، فقد أدرك أن الدكتور (فائق) سيبذل أقصى جهده ، لاستخراج المعلومات من (تامر) ، وهذا يثير أعصابه ، ويورثه توترًا لامثيل له ، ولكنه لم يشأ نقل قلقه وتوتره إلى (نورا) ، فابتعد عن الحديث فى هذا الأمر ، وقال :

ـ كيف أقنعت والديك بالعودة إلى منزلهما ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ كانا مرهقين للغاية ، بعد ثلاثة أيام هنا ، ولقد وعدتهما أن يقضى (تامر) فترة النقاهة فى فيلتهما ، بعد خروجه من هنا ، وطلبت منهما إعداد حجرته فى الفيلا لهذا .

تمتم شاردًا :

ـ فكرة جيدة .

لم تنجح محاولته فى انتزاع ذلك القلق من نفسه ، ولا فى إخماد ذلك السؤال ، الذى ظلّ يصرخ فى أعماقه ..

ما الذى يفعله الدكتور (فائق) مع (تامر) ؟ ..

وفى حجرة (تامر) ، كان الدكتور (فائق) يجلس فى مواجهة الطفل ، ويتطلّع إليه فى اهتمام بالغ ، وهو يقول :

ـ أعلم أنك تختزن السر كله فى عقلك الصغير يا (تامر) ، حتى لو كنت أنت نفسك تجهل هذا .. ولكن هناك وسيلة لاستخراج هذه المعلومات من ذهنك يا صغيرى .. وسيلة أوصلتنى إليها أنت بنفسك .

تطلّع إليه (تامر) فى صمت ، وبراءة الأطفال تطلّ من عينيه ، فتابع الرجل :

ـ هل تذكر كيف أيقظت أمك ، عندما فشل الدكتور (صديق) فى هذا ؟ .. لقد أمسكت كفيها ، فانساب إلى عقلها سيل من الصور والمعلومات ، انتزعها من سباتها الصناعى .

ثم تراجع مستطردًا فى نشوة :

ـ وهذا ما سنفعله اليوم .

ابتسم (تامر) ابتسامة طفولية مرحة ، فبادله الرجل ابتسامته ، وقال :

ـ لعبة طريفة .. أليس كذلك ؟

ظلّت ابتسامة (تامر) ثابتة دون تغيير ، فمدّ الدكتور (فائق) كفيه إليه ، قائلًا فى لهفة واضحة :

ـ هيا .. فلنمارس هذه اللعبة .

تطلّع (تامر) إلى الكفين فى لامبالاة ، فكرّر الرجل فى قلق :

ـ هيا يا (تامر) .

وفى هدوء مدّ (تامر) كفيه ، وأمسك كفى الدكتور (فائق) ، فقال هذا الأخير فى انفعال :

ـ هيا يا (تامر) .. هيا .

ثم انتفض جسده بغتة ، وسرت فيه قشعريرة باردة ، عندما انخفضت درجة حرارة الطفل فجأة ، حتى صارت أصابعه أشبه بقضبان من الثلج ، تلسع يد الدكتور (فائق) ، الذى هتف مبهورًا :

ـ مدهش .. ها هى ذى ظاهرة جديدة .. إنك قادر على التحكم فى درجة حرارة جسمك ، و ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ..

لقد بدأ سيل المعلومات ..

وفى شدة .

٩ ـ وجهًا لوجه ..

كوكب بعيد ، فى غياهب الكون السحيق ، تشغل المياه تسعة أعشار سطحه ، وتشرق فوقه شمسان ، تغربان معًا ، فى كل ستة أيام ـ بزمن الأرض ـ لتفسحا المجال لستة أقمار مختلفة الأحجام ، تضىء سماءه فى ليله الذى يستغرق الفترة نفسها ..

من هذا الكوكب أتى أولئك ، الذين غرسوا ذلك الشىء فى عقل الطفل ..

جاءوا من أجل حضارتهم ..

ومن أجل مستقبلهم ..

إنهم ثلاثة فحسب ، هم آخر سلالة عظيمة ، حكمت ذلك الكوكب ، وصنعت فى أعماق مياهه حضارة راقية هائلة ، فاقت حضارة الألف عام الأخيرة من عمر الأرض ، بثلاث مرات على الأقل ..

ثم جاء ذلك الوباء الرهيب ..

وباء بدأ كمرض غامض ، وفيروس منيع ، أصاب بعض أهل الكوكب ، فأسرع العلماء هناك يدرسونه ، ويفحصونه ، ويبحثون عن وسائل للوقاية منه ، ولعلاج مضاعفاته ، وإيقاف انتشاره ..

ولكن المرض كان الأقوى ..

والأسرع ..

وفى عشرة أعوام فحسب ، وعلى الرغم من نجاح علماء الكوكب فى التوصل لعدة عقاقير ، يمكننا إيقاف تدهور المصابين والمرضى ، وتخفيف الأعراض ، ربح المرض المعركة ، وأفنى سكان الكوكب كلهم ..

فيما عدا هؤلاء الثلاثة ..

ثلاثة من العلماء ، أمكنهم النجاة من العدوى ، وقرروا بذل أقصى جهدهم ؛ للنجاة ، ولإبقاء هذه الحضارة ، حتى بعد فناء شعبهم ..

وفى عقولهم نبتت فكرة عجيبة ..

ومثيرة ..

فكرة أن يبحثوا عن شعب جديد ، يواصل الحياة والحضارة على سطح كوكبهم ، ويعمر كل هذه المنشآت العملاقة ، والتكنولوجيا المتطورة هناك ، بدلًا من أن تلتهمها أسنان الزمن ، التى لا ترحم ولا تبقى ولا تذر ..

وفى رحلة طويلة ، راح العلماء الثلاثة يبحثون عن كوكب مأهول ، يسكنه قوم عقلاء ، يمكنهم أن يكونوا بذرة لحياة جديدة ، على كوكب المياه ..

وكانت هناك كواكب شتى ، ولكن أحدها لم يكن يناسب العلماء الثلاثة ، من حيث تركيب مخلوقاته ، أو تكوينهم الحيوى ، الذى لا يصلح تعديله ، ليناسب الحياة على كوكبهم المهجور ، أو قدرتهم على مقاومة ذلك الفيروس العنيد ..

وأخيرًا عثر العلماء الثلاثة على كوكب الأرض ..

وعلى مخلوقات صالحة لإجراء التجربة ..

التجربة الرهيبة ..

وكان (تامر) هو أول نموذج ناجح ..

ربما لأن الظروف ساعدت على هذا ..

لقد تم تعديل تركيبه الحيوى ، وهو بعد جنين فى رحم أمه ..

إنه السيّد المنتظر ، والحاكم الجديد ..

إنه (آدم) ذلك الكوكب ، الذى ينتظر حياة جديدة ..

بذلك التعديل فى وظائفه ، سيمكنه أن يحيا فى الأعماق ، دون أن يحتاج إلى التنفس ، سوى مرة واحدة يوميًا ..

سيمكنه أن يغوص إلى أعماق سحيقة ..

وأن يتحكم فى الأشياء بعقله وحده ..

كل مايحتاجه هو (حواء) أخرى ، من كوكب الأرض ، تخضع للتجربة ذاتها ..

وعندئذ يبدأ العصر الجديد ، فى كوكب المياه ..

وتزدهر الحضارة مرة أخرى ..

الحضارة الجديدة ..

كل هذا السيل من المعلومات انساب من عقل (تامر) ، إلى عقل الدكتور (فائق) ..

لا أحد يدرى كيف عرف (تامر) نفسه كل هذه المعلومات ..

ربما كانت مختزنة داخل ذلك الشىء ، المغروس فى مخه ، كتاريخ محفور ، يساعد على معرفة طبيعة الكوكب الذى سيقطنه ، والذى سيبدأ فيه حضارته الجديدة ..

سؤال واحد بقى دون جواب ، فى عقل الدكتور (فائق) ..

كيف سيذهب (تامر) إلى ذلك الكوكب ؟ .. ومتى ؟! ..

وبكل اللهفة والفضول العلمى فى أعماقه ، نقل الدكتور (فائق) السؤال من عقله إلى لسانه ، هاتفًا :

ـ وكيف سترحل إلى هناك يا (تامر) ؟ .. ومتى ؟ ..

وفجأة عاد إلى عالم الواقع ، وانحبست الأسئلة فى صدره وحلقه وعينيه ..

وأمامه ، تجسّم شكل شبه بشرى ، من شعاع بنفسجى ، عبر نافذة حجرة (تامر) ، واستقر فى منتصف المكان تمامًا ..

وترك (تامر) كفى الدكتور (فائق) ، وهو يلتفت إلى ذلك المخلوق ، الطويل القامة ، صاحب الرأس الضخم والعينين الكبيرتين الثابتتين ، والنظرات الحادة ، والبشرة الأرجوانية الباهتة .

واتسعت عينا الدكتور (فائق) فى ذهول ورعب ، فى حين تطلّع (تامر) إلى المخلوق فى هدوء ، ودون خوف أو توتر ، ورفع المخلوق يده الطويلة النحيلة ، ذات الأصابع الأربعة ، وهو يصوّب إلى الدكتور (فائق) جسمًا مثلثًا ، يمسك به من قاعدته ..

وتراجع الدكتور (فائق) ، وهو يلوّح بكفيه ، هاتفًا :

ـ لن أكشف السر .. لن أتفوّه بحرف واحد .

ولكن الأصابع الأربعة ضغطت قاعدة المثلث فى حزم ، فانطلق من قمته شعاع أزرق رفيع ، أصاب هدفه بدقة مدهشة ..

وكان هذا الهدف هو الدكتور (فائق) ، خبير جراحة المخ والأعصاب ..

سابقًا ..

★ ★ ★

وقفت (نورا) إلى جوار (خالد) ، عند نافذة الممر ، وتطلّعت بدورها إلى السماء بنجومها اللامعة ، وهمست :

ـ أشكرك .

التفت إليها (خالد) ، يسألها فى حيرة :

ـ ماذا ؟

أجابته فى شىء من الخجل :

ـ أشكرك على كل ما فعلته من أجلى ، ومن أجل (تامر) .

تطلّع إليها فى دهشة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ لم أفعل إلا ما يمليه علىّ واجبى ، وما كان سيفعله (ضياء) ـ رحمه الله ـ لو أنه فى نفس موضعى .

قالت وهى تتحاشى النظر إليه :

ـ هذا يؤكّد نبلك وشهامتك .

بدا له حديثها مثيرًا للدهشة بالفعل هذه المرة ، وهو الذى لم يعتد منها سوى الجمود والجفاء ، فغمغم :

ـ (نورا) .. ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابته فى حياء :

ـ يمكنك اعتباره اعتذارًا عن الأيام السابقة .

تهلّلت أساريره ، وهو يقول :

ـ (نورا) .. أتعنين هذا حقًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى خجل ، وغمغمت :

ـ بالتأكيد .

هتف فى سعادة :

ـ يا إلهى ! .. لست أصدّق نفسى يا (نورا) .. كم كنت أحلم بمثل هذه اللحظة .. لم أتصوّر أبدًا أنها ستأتى .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

ـ لم يكن ذلك سهلًا يا (خالد) ، ولن يكون كذلك ، فـ (ضياء) كان يمثل جزءًا كبيرًا من حياتى ، ومن ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فى السماء ، وارتسمت على وجهها علامات رعب هائل ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث يا (نورا) ؟ .. ماذا حدث ؟

ولكنها لم تستطع إجابته ، وهى تحدق فى رعب فى ذلك الضوء البنفسجى الأسطوانى ، الذى هبط من السماء ، وعبر نافذة حجرة (تامر) ..

لقد أدرك عقلها الباطن طبيعة ذلك الضوء ..

وحطم الستار الحديدى ، الذى يحيط بذاكرتها ..

وفجأة .. فى لحظة واحدة ، استعاد عقلها ذكرى تلك الليلة الرهيبة .. ليلة الطبق الطائر ..

* * *

أحاط الشعاع البنفسجى بجسدها ، وشعرت أن خلاياها تقفز من جسدها ، عبر أنبوب مظلم عميق طويل ، ثم تعود لتتراص إلى جوار بعضها البعض ، والظلام يتبدد من حولها ، ليعود ذلك الضوء البنفسجى ،

مع فارق واحد ..

أنها لم تعد تقف إلى جوار سيارتها ..

لقد أصبحت فى الداخل ..

داخل الطبق الطائر ..

إنها تقف داخل اسطوانة زجاجية شفافة ، وسط قاعة كبيرة ، ينيرها ضوء أزرق باهت ، وحولها مياه رائقة ، ذات لون جميل ، تتألق فوقها أضواء غامضة مجهولة ..

وهى شبه مشلولة ، ترى كل ما حولها ، ولكنها عاجزة عن الحركة ، لا يمكنها حتى تحريك سبّابتها ..

ثم فجأة ، ظهرت تلك المخلوقات الثلاثة ..

وامتلأت نفسها بالرعب ..

حاولت أن تصرخ ، أو تبكى ، ولكنها كانت مجمّدة تمامًا ، لا يمكنها نطق حرف واحد ، حتى عندما التفّ الثلاثة حولها ، وراحوا يفحصونها بعيونهم الكبيرة الثابتة المستديرة ، ويتأملون بطنها المتكوّرة باهتمام بالغ ..

وفجأة اختفت الأسطوانة الزجاجية الشفافة من حولها ، وشعرت بجسدها يرتفع فى الهواء ، ثم يتخذ وضعًا أفقيًا ، ويرقد فوق شىء أشبه بمنضدة جراحية ، التفّ حولها الثلاثة ، وراحوا يتحسسون بطنها بأصابعهم الطويلة النحيلة ، ووجدت نفسها تقول فى خوف :

ـ ماذا ستفعلون بى ؟

لم يجب أحدهم ، أو يبدى حتى اهتمامًا بسؤالها ، بل ضغط أقربهم إليها شيئًا ما فى المنضدة ، فبرز من جانبها لوح أسود ، ارتفع لمسافة متر تقريبًا ، ثم مال فجأة متخذًا وضعًا أفقيًا ، فوق بطنها تمامًا ، ومرّر المخلوق راحته فوقه ، وأبعدها فى هدوء ، فتألق اللوح ، واتخذ لونًا فيروزيًا باهتًا ، فى نفس الوقت الذى تموّج فيه جزء من جدار القاعة ، وظهرت فوقه صورة كبيرة لجنين ، يسبح فى رحم أمه ، فغمغمت

(نورا) فى دهشة :

ـ أهذا طفلى ؟

لم يجب أحدهم سؤالها ، فى هذه المرة أيضًا ، وراحوا يتطلعون إلى الصورة الكبيرة فى اهتمام ، ثم مرّر أحدهم أصابعه الأربعة على اللوح ، فبرزت من جانبه أداة حادة رفيعة ، مالت لتلتقط جسمًا صغيرًا ، من فجوة فى إطار اللوح ، ثم عادت تتوجه إلى بطن (نورا) ، التى هتفت :

ـ ماذا ستفعلون ؟

شعرت بالأداة الحادة تلمس بطنها ، وتضغطها فى رفق ، ثم لم تعد تشعر بها على الإطلاق ، على الرغم من أنها بدت على الحائط ، فى الصورة الكبيرة ، وهى تغوص داخل رحمها ، فهتفت :

ـ أأمكنكم إدخالها فى بطنى ، دون ألم ؟

وككل مرة ، تجاهلها الثلاثة تمامًا ، ورأت هى الأداة على الشاشة الهلامية ، وهى تتجه إلى رأس الجنين ، فقالت فى توتر :

ـ ما هذا ؟ .. إنكم ستؤذون ابنى .

ولكن الأداة اخترقت رأس الطفل فى بساطة ، وراحت تنزع ذلك الجسم الصغير فى مخه ، فصرخت (نورا) ، بكل ما يملأ أعماقها من خوف وذعر ولوعة وهلع :

ـ لا .. لا .. ليس طفلى .. لا ..

، ليس (تامر) .. ،

كررت (نورا) الصرخة ، فى ممر المستشفى ، وهى تندفع نحو حجرة (تامر) ، و (خالد) يسألها فى دهشة ، وهو يلحق بها :

ـ ماذا هناك يا (نورا) ؟ .. ماذا حدث ؟

حاولت فتح باب الحجرة فى ذعر ، ولكنه كان موصدًا من الداخل ، فصرخت :

ـ (تامر) يا (خالد) .. (تامر) فى خطر .

لم يكن يدرك طبيعة هذا الخطر بالضبط ، ولكن صراخها جعله يندفع نحو باب الحجرة ، هاتفًا :

ـ ابتعدى .

أفسحت له الطريق ، فضرب الباب بكتفه القوى ، وحطم رتاجه ، واندفع معها إلى الداخل ، و ..

وشهقت (نورا) فى رعب ، وهى تحدق فى ذلك المخلوق ، الذى يهمّ بالتقاط ابنها ، فى حين تراجع (خالد) فى ذهول ، وهو ينقل بصره بين (تامر) ، والمخلوق ، والدكتور (فائق) ، الذى تجمّد داخل غلاف أزرق بارد سميك ..

وصرخت (نورا) مرة أخرى :

ـ لا .. ليس (تامر) .

ولكن المخلوق رفع المثلث نحوها ..

وضغط قاعدته .

١٠ ـ الهروب ..

نظريًا لم يكن من السهل أبدًا أن يتخلى (خالد) عن ذهوله ، وهو يواجه ذلك المخلوق ، الذى لايمكن أن يتخيل المرء رؤيته ، إلا فى أفلام وروايات الخيال العلمى والخرافى ..

ولكن ـ الحب كما يقولون ـ يعمل المعجزات ..

ومن أجل الحب ..

ومن أجل نفسه أيضًا ، انتزع (خالد) نفسه من هذا الذهول ، عندما رأى المخلوق يصوّب المثلث إلى (نورا) ، بعد أن أدرك بذكائه ، أن مصيرها لن يختلف عن مصير الدكتور (فائق) ..

وبحركة عنيفة سريعة ، أودعها كل حبه وغضبه ورغبته فى الحياة ، دفع (خالد) (نورا) جانبًا ، وركل المثلث فى يد ذلك المخلوق ، ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة ..

وسقط المخلوق أرضًا ، ثم اعتدل فى حركة عنيفة مدهشة ، إذ به كلوح من الخشب السميك ، مثبت فى قاعدته ، سقطت قمته ، ثم ارتفعت دفعة واحدة ، دون أن ينثنى سنتيمتر واحد منه ..

وكان المشهد عجيبًا ومخيفًا فى آن واحد ، حتى أن (خالد) تراجع فى دهشة وخوف ، فى حين أطلقت (نورا) شهقة أخرى ، ثم قفزت تختطف ابنها ، وتضمّه إلى صدرها ، هاتفة :

ـ اهرب يا (خالد) .. اهرب .

لم يكن (خالد) من أولئك الذين يميلون للفرار ، أمام أى خصم كان ، إلا أنه قرّر التخلى عن هذه الفكرة أمام هذا المخلوق العجيب ، فانطلق مع (نورا) خارج الحجرة ، وهى تحمل (تامر) ، الذى بدا هادئا

مستسلمًا ، وكأنما الأمر لايعنيه ، فى حين انطلقت خلفهم خيوط الأشعة الزرقاء ، فهتف خالد :

ـ لابد أن نبتعد عن هذا المكان قدر الامكان .

هبطا فى درجات السلم فى عنف ، وانطلقا يعدوان على نحو أثار دهشة وخوف نزلاء المستشفى وأطبائها ، حتى بلغا ساحة انتظار السيارات ، فخلع (خالد) معطفه الطبى ، وهتف بـ (نورا) :

ـ هيا إلى سيارتى إنها الأقوى .

لم تحاول مناقشته ، وهى تتجه معه إلى سيارته ، التى فتح بابها ، وقفز خلف عجلة قيادتها ، وساعدها على الدخول ، ثم أدار المحرك ، و ...

وتوقف فجأة ..

توقف ليسأل نفسه فى دهشة :

ـ لماذا نفرّ ؟

هتفت به (نورا) :

ـ لننقذ (تامر) .. لنبتعد عن هنا بقدر الامكان .

قال فى حزم :

ـ لماذا ؟

حدّقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تهتف فى حدة :

ـ لأن ذلك الشىء يطاردنا .

واجهها قائلًا :

ـ هذا مأرفضه .. إنه لن يطاردنا علانية هكذا .. أنسيت السمة الشهيرة ، لكل حوادث الأطباق الطائرة ؟ ! .. إنهم لايظهرون فى المجتمعات أبدًا ، ولايمكنهم مواجهة الـ ..

قاطعه سقوط خيط الأشعة الأزرق الرفيع على مؤخرة سيارته ، التى ارتجّت فى قوة ، وانتشر على حقيبتها الخلفية شىء أشبه بجليد أزرق

سميك ، فى حين هتفت (نورا) فى ذعر ، وهى تشير إلى نافذة حجرة (تامر) ، فى الطابق الثانى :

ـ انظر .

رفع (خالد) عينيه إلى حيث تشير ، وكاد يطلق شهقة دهشة بدوره ، عندما رأى ذلك المخلوق فى وضوح ، وهو يقف فى نافذة الحجرة ، ويصوّب إليهم ذلك المثلث مرة أخرى ، فأسرع يضغط دوّاسة الوقود بسيارته ، وهو يقول فى حزم :

ـ إننى أعتذر .. لن يحاولوا إخفاء أمرهم هذه المرة .

وانطلق بأقصى سرعة تسمح بها السيّارة ، مجتازًا ساحة انتظار السيارات ، وبوّابة المستشفى ، ثم انحرف بحركة حادة عنيفة ، ليتخذ الطريق الرئيسى ، الذى يقود إلى (حلوان) ..

ومن خلف السيارة ، سقط ذلك الشعاع البنفسجى مرة أخرى فى حجرة (تامر) ، وتلاشى داخله هذا المخلوق ، قبل أن يختفى الشعاع ، ويتألق ضوء أزرق باهت فى الفضاء ..

ولم يتوقف (خالد) ليرى هذا ..

كان ينطلق بأقصى سرعته ، متجاوزًا كل قواعد المرور ، ومستغلًا الخلو النسبى للطريق ، فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، والتى تجاوزت منتصف الليل بساعة ونصف تقريبًا ، وقال وهو يتخذ الطريق المؤدى إلى فيلا الحاج (رشدى) :

ـ من الواضح أنهم يريدون (تامر) فى شدة ، حتى يخاطروا بالإعلان عن وجودهم ، على هذه الصورة .

ضمّت (نورا) ابنها إلى صدرها فى قوة ، وقالت فى هلع :

ـ لن نتركه لهم أبدًا .

أجابها فى حزم :

ـ بالطبع .

كان يتمنى لو يزيد فى سرعة السيارة ، التى بلغت بالفعل سرعتها القصوى ، وراح محرّكها يطلق صرخات احتجاج عنيفة ، على بلوغه هذه السرعة ، التى لم يبلغها من قبل ، حتى عندما كان جديدًا قويًا ، ولكن (خالد) انحرف بسيارته فى قوة ، متخذًا ذلك الطريق الفرعى القصير ، الذى يقود إلى هذه الفيلا ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا ربحنا السباق حتى الآن ، أو أن ..

قبل أن يتم عبارته ، أطلق محرك السيارة حشرجة عنيفة مباغتة ، ثم ارتجّ فى قوة وعنف ، وتوقف تمامًا ، تاركًا السيارة تنزلق بالقصور الذاتى(★) . وأضواؤها تخفت فى شدة ، حتى توقفت بعد عدة أمتار ، فانهارت (نورا) ، هاتفة :

ـ لقد لحقوا بنا .

نطقتها فى يأس شديد ، وهى تتطلع إلى الطبق الطائر ، الذى بدا واضحًا ، وهو يتجه نحوهما ، فألقى (خالد) نظرة بدوره على الطبق ، وخفق قلبه فى عصبية وتوتر ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ لو أنهم يريدون السيارة فليأخذوها .

وقفز خارجًا من السيارة ، وعاون (نورا) على مغادرتها ، وهى تحمل (تامر) ، وسألها :

ـ هل يمكنك العدو ، حتى نبلغ الفيلا ؟

(★)القصور الذاتى : هو مقاومة الساكن للحركة ، ومقاومة الجسم المتحرك لتزويده بعجلة ، أو تغيير اتجاهه وهى خاصية عامة تشترك فيها المادة بأجمعها ، وعبر عنها (نيوتن) فى قانونه الأول للحركة ، المعروف باسم (قانون القصور الذاتى) .

أجابته فى حسم :

ـ يمكننى الجرى فوق الأشواك من أجل (تامر) .

أمسك يدها ، قائلا :

ـ هيا بنا إذن .

انطلقا يعدوان ، بكل ما يمتلكان من سرعة ، و (تامر) مستسلم بين ذراعى أمه ، يراقب فى هدوء وفضول ذلك الطبق الطائر ، الذى تبعهما فى بطء عجيب ، وكأنه يدرس ردود أفعالهما ، حتى لاحت الفيلا من بعيد ، فهتفت (نورا) ، وهى تلهث فى شدة :

ـ لقد وصلنا .

وهنا فقط تجاوزهما الطبق الطائر ، ثم هبط أمامهما ، فى تلك المسافة المتبقية ، بينهما وبين الفيلا ..

وصرخت (نورا) فى انهيار :

ـ أفسح الطريق .. أفسح الطريق بالله عليك .

ولكن (خالد) جذبها فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ لا تستسلمى لليأس .. هيا .. سندور من حوله .

وقبل أن يفعل ، كان ذلك الشعاع البنفسجى ينبعث من الطبق الطائر ، ويسقط على الأرض ، بينها وبينه ، ثم يبرز منه ذلك المخلوق المخيف ، وهو يصوّب إليهم مثلثه الرهيب ..

وصاح (خالد) ، وهو ينفصل عن (نورا) :

ـ أسرعى يا (نورا) .. أسرعى بـ (تامر) إلى الفيلا .

قالها وهو ينقضّ على ذلك المخلوق ؛ ليفسح لها طريق الفرار ، ولكن المخلوق بادره بالهجوم هذه المرة ، وضربه بالمثلث فى وجهه ، فألقاه بعيدا فى عنف ، وشعر (خالد) وكأن مطرقة هوت على وجهه ، ولكنه قاوم ليقاتل المخلوق مرة أخرى ، وهو يصرخ :

ـ أسرعى يا (نورا) .

ولكنه رأى حاجزا أرجوانيًا يتكوّن أمام (نورا) ، التى تراجعت فى ذعر ، وصرخت فى ارتياع كامل :

ـ (خالد) .. النجدة .

شعر بعجزه الكامل هذه المرة ، وهو يواجه ذلك المخلوق ، على بعد أمتار قليلة منها ، ولكنه انقض عليه مرة أخرى فى بسالة ، استقبلها المخلوق فى برود تام ، ولكمه مرة أخرى فى فكه بمنتهى القوة ، وألقاه أرضا ، على بعد مترين كاملين منه ، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها ذلك الحاجز الأرجوانى يحيط بـ (نورا) ، التى تصرخ فى رعب :

ـ النجدة يا (خالد) .. النجدة ..

تمنى لحظتها لو ينتزع قلبه من صدره ، ويحوّله إلى قنبلة ، ينسف بها هذا الحاجز ، الذى يحيط بها ، ولكن قلبه هذا خفق فى قوة ، وكاد يتوقف بين ضلوعه ، عندما رأى المخلوق يصوّب إليه مثلثه القاتل ، ويهمّ بضغط

قاعدته ، وإطلاق أشعته عليه ، وهو ملقى أرضا ، فى هذا الوضع العصير ، الذى لا يمكنه معه تفادى الإصابة بالسرعة الكافية ..

عندئذ أدرك مصيره ..

وأدرك أنه هالك هذه المرة ..

هالك لا محالة .

١١ ـ الخطر ..

انطلق دوى الرصاصة فجأة ..

كانت الأحداث تسير ، من سيئ الى أسوأ ، عندما تدخلت تلك الرصاصة بغتة ، لتقلب الأمور رأسا على عقب ..

وأمام عينى (خالد) ، ارتطمت الرصاصة بالمخلوق ، الذى يصوّب إليه المثلث الرهيب ، فسقط كلوح من الخشب ، وارتطم بالأرض فى دوى مكتوم ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها صوت الحاج (رشدى) ، من جهة الفيلا ، وهو يمسك بندقيته القديمة ، التى تتصاعد الأبخرة من فوهتها ، ويهتف ملوّحا بيده اليسرى :

ـ أسرعا .. هيا .

قفز (خالد) واقفا على قدميه ، واندفع نحو (نورا) ، وانتزعها من تلك المنطقة ، قبل أن يحيط بها الحاجز تمامًا ، وجذبها فى قوة ، وهو يعدو معها نحو الفيلا ..

ومن خلفهما هبّ ذلك المخلوق منتصبًا مرة أخرى ، بنفس الحركة الثابتة المخيفة ، وكأنما لم تخدش منه الرصاصة خلية واحدة ، واستدار إليهما فى بطء ، ولكنه لم يحاول تصويب مثلثه هذه المرة ..

وفى هلع واضح ، استقبلهما الحاج (رشدى) ، وأحاط ابنته بيسراه ، وهو يدفعها معه إلى الفيلا ، هاتفا :

ـ لن يصدقنى أحد .. إنهم من الجن .. من الجن حتما .

تجاوزوا الحديقة الصغيرة المقفرة ، وعبروا باب الفيلا ، لتستقبلهم أم (نورا) فى لهفة جزعة ، وهى ترتجف كعصفور مبتل ، وتقول :

ـ ما هذا الشىء ؟ لماذا يطاردكما ؟

اجابتها (نورا) :

ـ إنهم يريدون (تامر) .

شهقت الأم ، وهتفت :

ـ يريدونه ؟ ! ..أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أعوذ بالله من شر ما خلق .

وحاولت أن تلتقط الصغير ، ولكنه تشبث بأمه ، واستكان على صدرها ، وهو يراقب الموقف بنفس الهدوء والبراءة ، فى حين وقف (خالد) إلى جوار الحاج (رشدى) عند نافذة الفيلا ، يتطلعان إلى الطبق الطائر ، الذى يقف فى الهواء ، ويتألق بذلك الضوء الباهت العجيب ، الذى يتأرجح ما بين البرتقالى والأخضر ، وسأل (خالد) الحاج فى توتر :

ـ أتظن الفيلا تمنعهم من مهاجمتنا ؟

أجابه الحاج (رشدى) فى حزم :

ـ كلا .

ثم جذب إبرة بندقيته ، وهو يستطرد :

ـ ولكنى سأدافع عن ابنتى وحفيدى الوحيد ، لآخر قطرة من دمى .

قال (خالد) :

ـ هذا موقفنا جميعا .

أما الأم ، فراحت تقول لابنتها فى انفعال :

ـ لقد رأينا ذلك الشىء ، وأصابنا الرعب والفزع ، وقررنا ألا نغادر الفيلا أبدا ، ثم لمحكما والدك ، وأدرك أن ذلك الشىء يطاردكما ، فقفز يلتقط بندقيته ، واندفع إلى الخارج بلا تردد .

كررت (نورا) ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ إنهم يريدون (تامر) .

قال (خالد) فى حزم :

ـ اطمئنى .. لن يأخوه أبدا بإذن الله .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ وأنا على قيد الحياة .

ران عليهم جميعا صمت عجيب ، بعد عبارة (خالد) الأخيرة ، وراحوا يراقبون ذلك الطبق الطائر فى قلق ، وهو ثابت فى مكانه على نحو مخيف ، وألوانه تتبدل فى تتابع رتيب ، من الأحمر إلى البرتقالى ، فالأخضر ، فالأزرق ، ثم يتألق كله بضوء بنفسجى هادئ ، يستقر لفترة محدودة ، ثم تبدأ الدورة اللونية من جديد ..

وفجأة ارتفع الطبق الطائر عن الأرض ..

ومع ذلك الارتفاع المباغت ، انتفض الأربعة فى عنف ، وهتف (خالد) :

ـ سيبدأون الهجوم .

لم يعلق أحدهم على عبارته ، وإنما ضمت (نورا) (تامر) إلى صدرها فى قوة ، وتشبث الحاج (رشدى) ببندقيته ، وأمسكت زوجته ذراع ابنتها فى توتر ..

وواصل الطبق ارتفاعه فى بطء ، ثم اعتلى الفيلا ، وتوقف فوقها ، على ارتفاع ثلاثة أمتار فحسب من سقفها ..

وهنا فقط بدت ضخامته واضحة ..

كان قطره يغطى الفيلا كلها تمامًا ، وتتجاوزها أطرافه ، وهو يدور حول نفسه دورة بطيئة ، وألوانه تتبدل بنفس النمط المخيف ..

ثم أصبحت الدورة أسرع ، وأسرع .. وأسرع ..

وامتزجت الألوان ببعضها البعض ، فلم يعد يبدو منها سوى اللون البرتقالى ، الذى لم يلبث أن استحال إلى الأبيض ، وعندئذ راحت الفيلا ترتج فى قوة ، فصاحت والدة (نورا) :

ـ سيهدمون الفيلا على رءوسنا .

اتسعت عيونهم فى رعب ، وبدأت آذانهم تلتقط طنينا رهيبًا ، ولكن (خالد) هتف فى حدة :

ـ لن يفعلوا هذا .. إنهم يحاولون المحافظة على (تامر) .

صرخت (نورا) :

ـ لن يأخذوه أبدًا ، حتى لو مزقونا إربًا .

تضاعف الطنين ، وبدأ يؤذى آذانهم ، وأطلقت الأم صرخات متوالية عنيفة ، تحمل كل رعبها وألمها ، فى حين ترنحت (نورا) فى ألم ، دون أن تجرؤ على سد أذنيها بكفيها ، حتى لا تترك (تامر) ، الذى بدا وكأنه الوحيد ، الذى لا يتأثر قط بذلك الطنين الرهيب ، وهتف (خالد) فى ألم . :

ـ هؤلاء الأوغاد إنهم يحاولون قتلنا بالموجات الصوتية الفائقة .

ثم هتف فجأة :

ـ اصرخوا .. اصرخوا بكل قوتكم .

أطاعوه على نحو غريزى ، دون مناقشة ، وراحوا يطلقون صرخات قوية عنيفة ، رددتها جدران الفيلا ، فبدا الأمر كله أشبه بلوحة تحمل صور أضخم مأساة فى التاريخ ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أشعرتهم تلك الصرخات بالارتياح ، وخفف الضغط عن اذانهم ، وهتفت (نورا) :

ـ إننى أتحسن بالفعل .

وفجأة توقف الطنين ..

توقف على نحو مباغت حقًا ، حتى أن أجسادهم شعرت بالبرودة بغتة ، مع تلك القشعريرة العجيبة ، التى سرت فيها ، مقترنة بالسكون والصمت التامين ، اللذين خيما على المكان دفعة واحدة ..

ولثوان ، لم ينطق أى منهم بحرف واحد ، مما زاد من وقع الصمت والسكون ، وهم يتبادلون نظرات قلقة حائرة ، قبل أن يهمس الحاج (رشدى) فى خفوت ، وكأنه يخشى تبديد الصمت السائد :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (خالد) فى قلق واضح :

ـ يبدو أنهم يخططون لهجوم جديد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اخترق ذلك الشعاع البنفسجى زجاج النافذة ، وانبعث منه ذلك المخلوق ، فى منتصف الحجرة ، وهو يصوب مثلثه الجهنمى إلى الحاج (رشدى) ..

وصرخت (نورا) :

ـ احترس يا أبى .

قفز الحاج (رشدى) جانبًا ، وعلى الرغم من سنوات عمره ، التى تجاوزت الستين ، فقد بدت قفزته شديدة القوة والمرونة ، وتجاوزه الشعاع الأزرق الرفيع ، فى حين رفع هو بندقيته نحو المخلوق ، وضغط زنادها ..

وانطلقت الرصاصة ..

وكما حدث فى المرة السابقة ، أصابت الرصاصة المخلوق ، فسقط على ظهره كلوح من الخشب ، ثم اعتدل واقفًا مرة أخرى ، فى نفس اللحظة التى انهار فيها باب الفيلا ، وظهر خلفه مخلوق ثان ، أطلق نحو الحاج (رشدى) شعاعًا أرجوانيًا ، من كرة يحملها فى يده ، فأصاب الشعاع

بندقية الوالد ، وحوّلها فى لحظة واحدة إلى كومة من الرماد ..

وصرخ الحاج (رشدى) :

ـ اهربوا .. اهربوا بسرعة .

اندفعت نحوه زوجته ، هاتفة :

ـ تعال معنا يا حاج .

ولكن المخلوق الآخر ألقى نحوهما حلقة مستديرة ، أشبه بطوق ألعاب قديم ، فالتفّت حولهما الحلقة ، وأحاطتهما بجدار شبه زجاجى ، سجنهما داخله ، فصاحت الأم بابنتها فى جزع :

ـ اهربى يا (نورا) .. أنقذى (تامر) .

صاحت (نورا) :

ـ أبى .. أمى .

ولكن (خالد) منعها من العدو نحوهما ، وهو يجذبها من يدها فى قوة ، هاتفًا :

ـ سيكونان بخير بإذن الله .. المهم أن ننقذ (تامر) .

جرت معه نحو السلم الخشبى ، الذى يقود إلى الطابق العلوى ، وما أن اعتليا بضع درجات منه ، حتى أصابه ذلك الشعاع الأرجوانى ، فتلاشى تحت أقدامهما ، وتحوّل إلى رماد ، وسقطا أرضًا ، و (نورا) تحتضن (تامر) فى قوة ..

وفى بطء مخيف مثير ، اتجه المخلوقان نحو (خالد) و (نورا) ، وراحت هذه الأخيرة تصرخ :

ـ اتركوا ولدى .. اتركوه .

ومع صرخاتها هبّ (خالد) للذود عنها ، ولكن المخلوق الثانى رماه بحلقة أخرى مستديرة ، أحاطت به لتسجنه داخل أسطوانة شبه زجاجية فى حين اتجه المخلوق الآخر نحو (نورا) ، وصوّب إليها مثلثه

الرهيب ، وهى تعتصر ابنها فى صدرها ، وتصرخ :

ـ لا تقتربوا منى .. اتركوا ابنى .. اتركوه .

استدار المخلوق الثانى إليها ، وحدّق فى عينيها بعينيه المستديرتين الثابتتين المخيفتين ، فامتلأت نفسها بالرعب ، وتردّد فى أعماقها صوت عجيب ، لم يسمعه بشرى من قبل ..

صوت يأمرها بالاستجابة لبرنامج سابق ، تم زرعه فى عقلها ، عندما كانت داخل الطبق الطائر ..

صوت يأمرها بتسليم (تامر) لتلك المخلوقات ، عندما تحين اللحظة المناسبة ..

وكانت هذه هى اللحظة المناسبة ، التى وقع عليها اختيار آخر سكان كوكب المياه ..

وقاومت (نورا) فى شدة ، ولكن قوة مجهولة كانت تجبرها على فتح ذراعيها ، والتخلى عن ابنها ، الذى ابتعد عنها فى بطء ، فأشار المخلوق الثانى إلى زميله ، الذى يصوب إليها مثلثه ، وأدركت هى طبيعة هذه الإشارة على الفور ..

لقد انتهت مهمتها ، ولم تعد هناك فائدة منها للتجربة ..

وعليها الآن أن تبعد عن الساحة ..

وأن تموت ..

وفى رعب هائل ، رأت المخلوق يصوّب إليها مثلثه ، ويضغط قاعدته ، صرخت وهى تبكى فى انهيار :

ـ لا ترحل يا (تامر) .. لا تتركنى .

وانطلق الشعاع الأزرق الرفيع ..

١٢ ـ النهاية ..

كان المخلوق يصوّب أشعة مثلثه نحو (نورا) تمامًا ، من مسافة قريبة للغاية ، وبدقة مدهشة ، وعلى الرغم من هذا فقد حدث أمر عجيب ..

لقد أخطأها !! ..

لم يصب الشعاع الأزرق (نورا) ، بل انحرف عنها ، وأصاب الحائط خلفها ، فنشر فيه ذلك الجليد المخيف ..

وفى حركة حادة ، التفت المخلوق إلى (تامر) ، الذى يحدجه بنظرة قوية صارمة ، لا تتناسب قط مع حجمه الصغير ، ولا مع سنوات عمره الثلاث ..

وتفجّرت الدهشة فى عيون وعقول الجميع ، عندما تراجع المخلوق أمام(تامر) ، فى حركة توحى بالخوف ، ثم رفع مثلثه نحوه ، وكأنما يحاول حماية نفسه منه ..

وتطلّع (تامر) إلى المثلث بنظرة حادة ، فقفز المثلث من يد المخلوق ، وارتطم بالجدار فى عنف شديد ، ثم سقط أرضًا ، وتوهّج بوهج برتقالى ، ثم تلاشى تمامًا ..

واستدار المخلوق الآخر نحو (تامر) ، وصوّب إليه حلقة من حلقاته ، وألقاها حوله ..

وأحاطت الحلقة بـ (تامر) بالفعل ، ولكن الأسطوانه لم تتكوّن حوله ؛ فقد انفجرت الحلقة بدوى مكتوم ، عندما ألقى عليها (تامر) نظرة غاضبة ..

وتراجع المخلوقان فى خوف ، أمام دهشة الجميع ، وجلست

(نورا) ، وهى تتطلع إلى ابنها فى ذهول ، وهو يلتفت إلى المخلوقين ، ويشير إلى أحدهما بيده ، فيرتفع المخلوق من الأرض ، ويرتطم بالحائط ، ثم يسقط أرضًا ..

وهنا انقض المخلوقان على (تامر) فى شراسة ، واستخدم كل منهما قواه العقلية ، فارتفعت بعض أدوات الحجرة ، واندفعت نحو (تامر) ..

وبدا الأمر أشبه بعاصفة عاتية ، هبّت داخل ردهة المنزل ، عندما أجبر (تامر) تلك الأدوات على التوقف فى الهواء ، والاندفاع مرة أخرى نحو المخلوقين ..

وراح كل شىء يتطاير فى الردهة ، كما لو أنها فى قلب إعصار رهيب ، تطاير معه شعر (تامر) فى عنف ، وهو يقف ثابتًا ، صارم النظرات ، على نحو مخيف عجيب ، يثير الرهبة فى القلوب ..

وأخيرًا أعلن المخلوقان ضعفهما واستسلامهما ..

أعلناه عندما تخليا عن القتال ، وبدا كأنهما يبحثان عن وسيلة للفرار من المكان و (تامر) يطاردهما فى بطء وصرامة وحزم ، مستخدمًا تلك القوة العجيبة ، التى يمتلكها عقله ، والقادرة على تحريك الأشياء دون لمسها ، لقذفهما بكل ما يتحرّك فى المكان ..

وغادر المخلوقان الفيلا ، واندفعا نحو الطبق الطائر ، الذى التقطهما بشعاعين متعاقبين ، ثم ارتفع استعدادًا للإقلاع ..

ولكن عينا (تامر) تألّقتا فى شدة ، وهما تتابعان الطبق الطائر ، الذى راح يرتجّ فى قوة ، وهو يرتفع وينخفض ، ثم تألّق بضوء برتقالى عنيف ، لم يلبث أن تحوّل إلى الأحمر القانى ، ثم ..

انفجر ..

انفجر على نحو عجيب ، أشبه بكرة من الدم ، تتفجّر فى فيلم صامت ، ينقله مجهر هائل ..

ودون أدنى صوت ، تناثرت شظايا الطبق الطائر ، وهى تتألق فى

شدة ، قبل أن تتلاشى بدورها ، وتختفى إلى الأبد ..

وعاد الظلام والسكون يخيمان على كل شىء ..

وفى هدوء ، اختفت تلك النظرة الصارمة من عينى (تامر) ، وحلت محلها براءة الطفولة ، وهو يعود إلى الفيلا ، ويبتسم لجده وجدته ، اللذين تحرّرا من سجنهما ، فور انفجار الطبق الطائر ، وراحا يحدقان فى حفيدهما فى صمت ذاهل ، ثم تجاوزهما إلى حيث يقف (خالد) ، الذى تحرّر بدوره ، وأمسك كفه بأصابعه الصغيرة ، وهو يمنحه ابتسامة سعيدة فرحة ، فربت (خالد) على رأسه فى حنان ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ نعم يا صغيرى .. لقد انتهى كل شىء .. انتهى بخير والحمد لله .

وهنا التفت (تامر) إلى أمه ، واتجه إليها ، ثم تحسّس شعرها بكفه فى حنان وحب ، وابتسم فى وجهها ابتسامة واسعة ، وانفرجت شفتاه لأوّل مرة فى حياته ، وهو يقول :

ـ ماما .

تفجّر حنانها كله مع كلمته ، فاحتوته فى صدرها ، وانهمرت دموعها تغسل وجهه وشعره ، وهى تهتف :

ـ (تامر) .. حمدًا لله على سلامتك يا ولدى .. حمدًا لله .

اندفعت أمها نحوها ، وغمرت الصغير بقبلاتها ودموعها ، فى حين انهمرت دموع الحاج (رشدى) فى صمت ، وهو يتلو آيات القرآن الكريم ، ويحمد الله (سبحانه وتعالى) على ما انتهت إليه الأمور ..

أما (خالد) ، فقد ربّت على كتف (نورا) فى حنان ، وقال :

ـ حمدًا لله على سلامتك وسلامة (تامر) يا (نورا) .. حمدًا لله .. أتعلمين ما الذى يعنيه نطقه لكلمة (ماما) هذه ؟

تطلّعت إليه فى تساؤل ، ودموعها تغرق عينيها ، فتابع فى حب حنون :

ـ إنه يعنى أن ذلك الجسم ، الذى غرسوه فى عقله ، قد استنفد طاقته ، ولم يعد له أدنى تأثير عليه ، ويمكننا انتزاعه دون أضرار .

غمغمت :

ـ حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وضمّ (تامر) إليه ، قائلًا :

ـ نعم يا (نورا) .. لقد انتهى كل شىء على خير ، بحمد الله وفضله ، وسننتزع ذلك الشىء من عقل (تامر) ، وسيعود طفلًا طبيعيًا .

سألته فى خفوت :

ـ أتظن هذا ممكنًا ؟

أجابها فى حنان :

ـ كل شىء ممكن يا (نورا) ، ولن أتخلى عنك أبدًا ، ولا عن (تامر) ، حتى تعود الأمور إلى مجراها ، وننسى جميعًا ما حدث .

تركت رأسها يستقر على كتفه ، وغمرها ذلك الشعور بالحب والحنان والدفء والأمان ، وهى تضمّ (تامر) إلى صدرها ، وتحلم بذلك اليوم ، الذى ينسون فيه جميعًا هذه التجربة ..

التجربة الرهيبة .

﴿ تمت بحمد الله ﴾

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

- بدون عمل (قصة قصيرة)...... ٥
- الزهرة الماسية (قصة كاملة) ١٥
- الأوتوبيس (قصة قصيرة)...... ٦٥
- ويمضى الزمن (دراسة)...... ٦٩
- صاحبة المجوهرات (خواطر) ٧٥
- المجانين (قصة قصيرة)........ ٧٨

قصة العدد

التجربة الرهيبة ٨٧

- عزيزى القارئ.............. ١٧٦

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم